الامام الخميني

والمشروع الحضاري الإسلامي

قراءة في خطاب الصراع والاستنهاض

الدكتور سمير سليمان

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

بسم الله الرحمن الرحيم

Sulaymān

الامام الخمينيُّ والمشروع الحضاري الإسلامي
قراءة في خطاب الصراع والاستنهاض

الدكتور سمير سليمان

منظمة الاعلام الاسلامي
٣٩٠

(ARAB)
DS318
.84
.K48S942
1990

اسم الكتاب : الإمام الخميني والمشروع الحضاري الإسلامي

المؤلف : الدكتور سمير سليمان

الناشر : معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي
الجمهورية الاسلامية في ايران/طهران
ص.ب ١٣١٣/١٤١٥٥

المطبعة : رامين

التاريخ : الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م

طبع منه : ٣٠٠٠ نسخة

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL
32101 024323352

الفهرس

الموضوع الصفحة

المقدمة ٧
تمهيد ٩
الحضارة والنموذج الحضاري / تأسيس في المصطلح والمنهج ١٤
تاريخ الحضارات، وصراع النموذجين الحضاريَّين ١٦
الإمام وصراع النموذجين الحضاريَّين ٢٤
الإمام والمشروع الحضاري الإسلامي ٣١
الإستنهاض والدعوة / تثوير الجوّاني والمشروع الحضاري الإسلامي ... ٣٨
أولاً : قضية الاستنهاض وأهدافه ٤٢
ثانياً : إيمان الإمام بقضية **الاستنهاض** وأهدافها و يقينه بانتصارها . ٤٨
ثالثاً : المستنهَضُون ٥٤
رابعاً : المستنهِضُون ٨٠
قواعد الاسلام والاستنهاض ٩٦
خاتمة البحث ١٠٨
الهوامش ١١٢
ثبت المراجع العربية والمعرَّبة ١٢٨

المقدمة

الاستاذ الدكتور سمير سليمان ــ ودونما مبالغة ــ ذو فكر ثوري حي، وهدفٍ واضح، واصرار على السير بكل حب وولهٍ نحو الهدف.

ومن هنا نجده يعشق الامام الخميني الراحل ــ رض ــ لأنه ذاب في ذات الهدف، وبذل كلَّ وجوده له، فكأنَّه هو هو.

وهذه دراسة ممتعة للاستاذ الدكتور سمير في جانب انساني من جوانب فكر الإمام ــ وكل فكره انساني ــ بعيدة النظر والغور.

فلنعش ــ إذن ــ مع هذا الجانب بكلّ ابعاده وغوره.

والله الموفّق..

معاونية العلاقات الدولية

في

منظمة الإعلام الإسلامي

تمهيد

في تجارب كتابة كثيرة لنا سابقة في قضايا حضارة الإنسان عموماً، وحضارة الإسلام خصوصاً، لم نجد في معاناة الكتابة وأوجاعها وهمومها، أصعب ممّا عانيناه هذه المرة الأُولى التي كتبنا فيها عن الإمام، وهي ــ في كلِّ حال ــ متأخِّرة تمنَّيناها متقدِّمة لو سمحت ظروفنا. وقد كان يُخيَّل إلينا قبل مباشرة فعل الكتابة أنَّ الأمر في الإمام ــ رضوان الله عليه ــ سيكون سهلاً لسببين:

أوَّلهما: تماسُّنا الزمنيُّ المباشر مع عصر الإمام، ومعايشتنا، أو اقترابنا، ممّا عاشه من أحداث معاصرة وحديثة في شتىٰ الشؤون والميادين.

وثانيهما: السهولة النسبيَّة لنصوص الخطاب الحضاري للإمام ــ عدا عرفانه ــ فتبدو للوهلة الأُولىٰ ونظراً لتوجُّهها الجماهيريِّ عموماً، وكأنها بسيطة المأخذ، سلسة الإنقياد، هيِّنة المنال، مطواعة لتحريك فعل الكتابة عن صاحبها، لاحرونٌ ولاعصِيَّة.

وكانت المفاجأة بسقوط السببين سقوط الوهم أمام الحقيقة الشاخصة... ولسنا ندري بعدُ إذا كنا وجدنا بين من كتبوا في الإمام من أُسقِطَ في يده، فشعر بإحباطٍ وحزنٍ مريرين بفشل بعض المحاولات الأُولى.

ولانعلم ما إذا كان وراء الصعوبة تلك بعضُ أو كلُّ الأسباب التالية:

أ ــ ضخامة الحزين الفكري والثقافي والفلسفي والأُصولي الذي ضمَّه الإمام بين جانحيه.

ب ــ كثافة ودقَّة الموضوعات والمفاهيم التي انطلق منها، أو تصدّىٰ لإثارتها وطرحها.

ج ــ جسامة المسؤوليات التي اضطلع بها، وكثرة الأنشطة التي تحرَّك وحرك بها على صُعُد شتىٰ ومستويات مختلفة، وذلك بين طَمي البدع والتزييف والتخلُّف والجهل والجهالة.

د ــ فرادة الرؤية التي اعتمدها والخيارات التي اختارها، وقد كانت كالأحلام المستحيلة والأضغاث.

وكيف لا تكون مسيرة الإنبعاث من كلِّ شيءٍ، علىٰ كلِّ شيءٍ، الى كلِّ شيءٍ، إلّا كأداء محفوفةً بالمخاطر واللّجب من المَكاره والمحظورات، والعدو كثير ومزوَّدٌ بكلِّ قوى الإعتراض والتخريب والإزهاق التقليدية أو المتطورة وأدواته، وإلّا مشروطة باهتداء خاص، وعلم خاص، وحكمة وجراءة خاصَّتين؟

هـ ــ إنَّ الباحث في فكر الإمام يواجه إشكالية مركَّبة قوامها: أن هذا الفكر ليس شخصياً في أصله ومبدئه، كما الحال في أفكار الآخرين العاديين، لأنه صادر عن المتَنزِّل الإلٰهي ومنصهر فيه. فالإلٰهي هو المبدأ والأصل، وهو المعاد أيضاً، وأما البشري، فهو الإمام المهتدي بالإلٰهي، المبيِّن له، والهادي إليه، والحجَّة فيه علىٰ الناس، والقيِّم العالم بحلاله وحرامه.. أي أن البشريَّ هنا محمولٌ علىٰ السماويِّ المطلق، كأكمل مايحمل الإنسانيُّ الإلٰهيَّ الكامل.

لذلك يجد الباحث نفسه أمام صعوبة من نمطٍ خاص في الكتابة عن

هذا التوحُّد المزدوج والمتكامل بين الأصل والمبدأ وامتداداتهما في الحضور الفكري للهادي إليهما.

وـ إنَّ من يتصدّىٰ للكتابة عن فكر إمامٍ بهذه القدرات، لاينبغي أن يُسقط من حسابه قطُّ، أنه إنَّما يكتب عن أكمل شخصيَّة في هذا العصر، بل عن أكمل شخصيَّة بعد الأئمَّة، ممّا يستدعي في الكاتب جهوداً استثنائية تتناسب مع استثنائية المكتوب عنه، وحضوره القدسيِّ.

زـ من الملاحظ في الكتابة عن فكر الآخرين، وجود صوتين متمايزَين في النص: صوت المكتوب عنه، وصوت الكاتب. وقد يتلاقىٰ هذان الصوتان، أو قد يتقاطعان، أو قد يفترقان.. وغالباً مايكون صوت الكاتب أعلىٰ من صوت المكتوب عنه.

أما الكتابة في الإمام فهي عندنا خارج هذه الإيماءات، لأن خطاب الإمام بما هو «خطاب» الإسلام، يجرف النصَّ المكتوب عنه بفيوضاته، و يغرقه في أبعاده.

إنَّه لايترك للكاتب فرصة لاصطناع مسافة كتابية «عقلانية» بينه و بينه... فامّا أن يتوحَّد الكاتب في هذا الخطاب فيكتب عنه من داخله، بما هو فيه ومنه، فهو المحيط والكاتب هو المحاط، وإمّا أن تتَّخذ الكتابة بعداً آخر.. لعلَّه أشبه بكتابة الغربة عن روح الأصل، أو بكتابة الإفتعال.. أوـ ربَّماـ اللّاكتابة.

حـ لأشهر خَلَتْ، كان الإمام لايزال حيَّ الجسد يملأ الدنيا و يشغل الناس في العالم كلِّه.. والكتابة عن فكرٍ حيٍّ قد تكون حافز امتناع وتردُّد، وقد استكان الباحثون الىٰ عرف وتقليد مُسْتَغْرَبَيْن يقولان بعدم الكتابة عن الأحياء!

أيكون تقصير المفكِّرين والباحثين في الكتابة عن فكر الإمام الخميني مردوداً الىٰ هذه الأسباب كلِّها، أو الىٰ بعضها؟ أم أنَّ الإمام بعد

انتقاله الى رحمة ربّه، قد انضمّ الى أئمّتنا الآخرين الذين ظلمناهم بتقصيرنا في إيفائهم بعض مالهم، عندما لم نخصص فكرهم بما يستحقُّه من الاهتمام والدرس والإظهار والإحياء؟!

أمّا نحن فأميل في تفسير ظاهرة الصعوبة تلك، الى الأسباب السبعة الأُولى، لا إلى السبب الأخير.

* * *

تحت أثقال الظاهرة المنوّه بها، وُلِدَت دراستنا قراءةً حضاريَّةً أوَّليَّةً لخطاب الإمام الإستنهاضي الصراعي قبل انتصار الثورة الإسلامية، من خلال نصوصه المترجَمة الى اللُّغة العربية، والتي تعود الى تلك الحقبة، ومن خلال تلك التي تحدَّثتْ عنها بعد تحقيق الانتصار، بحيث نقرأ منهج حركة الإمام الإستنهاضية إنطلاقاً من كونها:

١ــ نموذجاً حضارياً إسلامياً منبثقاً من صلب الصراع الحضاري بين حضارتين: حضارة الحق والتوحيد، وحضارة الطاغوت والباطل.

٢ــ نموذجاً لفعل الإستنهاض الإسلامي الحامل للمشروع الحضاري الإلٰهي للعالم كلِّه، بمبادئه وقيمه وأهدافه، وبجهوزيته للتطبيق لخير الإنسانية جمعاء.

٣ــ تمثُّلاً لمنهج الأنبياء والرسل والأئمَّة في التبليغ والدعوة الى رسالة السماء وإقامة حكم الله في الأرض، بشريعته وأحكامه ونظامه الإجرائي التنفيذي.

٤ــ إحياءً للأُمَّة وجهاداً لتوحيدها بإعادة ارتباطها بأُصولها الحضارية وثقافتها وتاريخها وأهدافها، ولإعادة بعث التزامها بتكليفها الإلٰهي بما هي خير أُمة أُخرجت للناس، واسترداد عافيتها الجهادية على مستوى مؤسساتها ومجامعها العلمية الدينية وقواعد التحامها الروحي والإجتماعي والسياسي بمشروعها الحضاري.

والإمام، في ذلك كلّه، عقلٌ استراتيجي إسلامي كبير، وأنموذج اقتداء وهداية وفلاح، وآيةٌ من آيات اللّه في خلقه، من طينة أوصياء الرسل، أنبتت ذخراً سرعان ماصدَّع الأرض بغابة من العاملين الهداة.

قال تعالى: «وَمِمَّن خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهدُونَ بِالحقِّ وَبِهِ يَعدِلُون»[1]، «فَمَنْ يكفُرْ بالطاغُوتِ ويُؤمِنْ باللّه فقَد آستمْسَكَ بالعُروةِ الوُثقى لاآنفِصامَ لَها واللّهُ سميعٌ عَليم»[2].

* * *

يبقىٰ أن نشير في ختام هذا التمهيد، الى أنَّ هذه القراءة الأوَّلية هي جزءٌ من كلٍّ، سيكتمل، بإذن اللّه، بمتابعته خطاب الإمام الحضاري بجملته بعد الثورة وقيام الحكومة الإسلامية، وحتىٰ انتقال الإمام الىٰ جوار ربِّه.

* * *

الحضارة والنموذج الحضاري/تأسيس في المصطلح والمنهج

ما ٱختُلِف في مصطلح يقول تاريخ كيان أُمة وحضورها في هذا العالم، وتَوقّفها الى ما يتجاوز حدود واقعها، كالاختلاف في مصطلح «الحضارة» نظراً لصعوبة تحديده، وقابليته لاحتضان الكثير من الدلالات.

وفي الاختلاف كان ٱبتعاد، أو مقاربة، أو معاقبة، أو ٱرتداد. ولكن، في كلِّ مرة، يصيب القارئ أو الدارس قبال المصطلح إضطرابٌ، بل قلقٌ، مؤقت أو مستديم، حتىٰ يَعْبُر في نص المصطلح ومتنه مدة، تطول أو تقصر، قُبَيْلَ أو بعد أن يطويه، ممّا يؤثّر في مسار الاستفادة، او يربكه، أو ينسخه ــ أحياناً ــ الى سوء فهم. خصوصاً وأنَّ مستخدِمي المصطلح قلَّما يحدسون في إمكانية وقوع هذا النوع من الإضطراب، فلايردفون ٱستخدامهم بإيضاح أو تفسير أو جلاء قصد.

وحتىٰ لانسقط، أو نُسقِط، فيما نُنَبِّه إليه، رأينا ضرورة التعريف بما يقنعنا في مصطلح «الحضارة» فاعتمدناه في سياق هذا النص.

«الحضارة» ــ عندنا ــ تبصُّرٌ بالغايات[٣]، باعتبار الغايات ــ إسلامياً ــ موجّهة لحركة الإنسان وفكره وعلمه وأفعاله ووسائله[٤]، بحيث لا تنفصل الغاية عن وسيلتها. والحضارة ــ بتعبيرٍ آخر ــ هي منهج معرفة وفهم الأُمة للوجود والطبيعة، وعلاقتهما بالإنسان، ولعلاقات البشر

ولعلاقة ذلك كلّه بالغيب. وهي بالتالي مُنْبَثق أخلاقهم ونظام قيمهم ومثلهم الأعلىٰ الذي يرتقون إليه و يتكاملون فيه، وهي أيضاً منهج رؤيتهم للتاريخ والمستقبل والمصير. وهذا يعني أن الحضارة منهجٌ فكريٌّ واصلٌ بالنتيجة الى أنواع أو أنماط ومواقف سلوكية إنسانية تحاكي واقعاً محدداً، ومُشْتَلاً عليا معيَّنة[٥]. إنها بمعنىٰ مختصر «كيان الأُمَّة الفكري»[٦]، وعلله ومصادره، وتجلّياته في القول والعمل والتطلّعات، ومعايير محاكمته للأشياء وعلاقات الناس والعالم.

من «اصطلاح المصطلح» هذا، نَدْلِفُ الى مصطلحٍ توليديٍّ هو «النموذج الحضاري» ونعني به، بمفهوم أول: المظاهر الحضارية التي تشكّل، مفردة أو مجتمعة، عيّنةً تختصر الملامح المشتركة الأساس، أو البنيوية للأُمّة، وتعبّر عنها، بحيث نقرأ الكلَّ عبر الجزء بما هو زاوية كاشفة من زوايا رؤيته.

وبمفهوم ثانٍ: يتخذ النموذج الحضاري بعداً آخر، إذْ يعبّرُ به عن مفهوم الحضارة ذاته[٧] عندما يتعلّق الأمر بمجموعة حضارات مختلفة في أُصولها وأُسسها ومكوّناتها، فتصبح كلُّ حضارة منها عبارة عن نموذجٍ حضاريٍّ خاص، بما هو فرعٌ من دوحة حضارات الإنسان على مرِّ التاريخ؛ أي أن النموذج الحضاريَّ هنا لم يُعدَّ جزءاً أو تعبيراً أو مظهراً، إنَّما أصبح مرادفاً لهذه الحضارة بكلّيتها.

في ضوء هذين التوضيحين تكون الحضارة الإسلامية نسيج الإسلام؛ فهو مبدؤها وروحها وواضع مَثَلها الأعلىٰ، ومنهج نظرتها الىٰ الإلٰهي والكون والحياة، وهو مشروع حياة ناسها ونظامهم الإجتماعي والروحي والسياسي، وهو نبض ثقافتهم ومدنيّتهم. وفي هذا المدىٰ يصبح الاسلام كيان الحضارة الإسلامية ووحدة أجزائها وظواهرها، فالحضارة «ليست مكاناً يكدّس فيه حشدٌ من الظواهر الحضارية تكديساً تكون

فيه الواحدة بجنب الأُخرىٰ وليس بينها علاقة، وانما هي الحضارة التي تمثِّل وحدة وكياناً مستقلاً يتغلغل في أجزائه المختلفة مبدأ أساسي واحد»[٨]، وتحفِّزه مُثُلٌ عليا واحدة.

أمّا في مفهوم «النموذج الحضاري» الأوّل، فتكون الدولة الإسلامية ــ مثلاً ــ تعبيراً أصلياً عن الإسلام المتصدّي لمسألة تنفيذ الشرائع والقوانين التي قررتها المشيئة الإلٰهية لإدارة وتنظيم الصيرورة البشرية من الوجود الى ماوراء الوجود في عملية تكامل دائمة، و بالتالي فإنَّ الدولة ــ هذه ــ نموذج حضاري إسلامي.

وأمّا في مفهوم «النموذج الحضاري» الثاني، فتكون الحضارة الإسلامية «نموذجاً حضارياً» مستقلاً، وذلك قياساً الى حضارات (أو نماذج حضارية) أُخرىٰ عرفها تاريخ البشرية.

وهذا النص متقيّد في استخدامه لمصطلحات «الحضارة»، و «النموذج الحضاري الأوّل»، و «النموذج الحضاري الثاني»، بالمفاهيم الثلاثة التي حدَّدناها أعلاه، وذلك في السياق الخاص بكلٍّ منها، وموقع ورودها في النص ذاته.

تاريخ الحضارات، وصراع النموذجين الحضاريين:

تأسيساً علىٰ تحديدنا المنهجي السابق للحضارة وللنموذج الحضاري تنبثق أسئلة بنيانية من الأسئلة التي تطرحها ــ عادةً ــ فلسفة التاريخ، وهي: الىٰ أيِّ مدىً يصحُّ الحديث عن «حضارات» متعدّدة في تاريخ الإنسان؟ و بالتالي، هل ثمَّة وجود لفروقات جوهرية أو بنيوية بين هذه «الحضارات» الىٰ درجةٍ تصبح فيها حضارة كالحضارة الإغريقية مثلاً، حضارة مستقلة عن الحضارة الفرعونية، أو الحضارة الساسانية، أو الحضارة الإسلامية؟ واذا كانت ثمَّة فروقاتٌ بين هذه الحضارات، فما

أصلها ومصدرها وأنواعها؟ــ و بالتالي ــ ما القوانين التي تحكم حركة التقاطع أو المفارقة فيما بينها؟

أسئلة كثيرة أُخرىٰ من هذا النمط، مطروحة في ساح فلسفة التاريخ وعلم اجتماع الحضارات ليس هذا النص ــ بلاريب ــ مجال التصدّي للخوض فيها والإجابة عنها بالتفصيل، لكننا أردنا التوقُّف عندها لحظةً نظراً لأهمّيتها المنهجية في فهمنا للخطاب الحضاري للإمام الخميني فهماً مستقيماً لاغموض فيه، وحتىٰ ننزع عن آستخدامنا للمصطلح أية ضبابية تؤدّي الى حمل بعض طروحاتنا في غير مانقصد.

وفاق هذا التوجُّه نعتقد أنَّ تاريخ الحضارة الإنسانية ــ كما التاريخ نفسه ــ قد عرف حضارتين اثنتين: حضارة الحق/الفطرة/التوحيد، وحضارة الباطل/المادية/الدنيوية. وهاتان الحضارتان محكومتان بالصراع والنزاع منذ فجر الإنسانية، نظراً لاختلافهما الجوهري في المصدر والأهداف والقيم. وفي خضمّ صراعهما التاريخي المستمر كانت للحضارة الأُولىٰ جولات، كما للأُخرىٰ. وكأنَّهما في حركتهما التصادمية صورة مكبَّرة عن حقيقة الصراع الدائم بين أصالة الفطرة، وعبادة أهواء النفس[٩] في أعماق الكائن البشري: واحدة ملكوتية تشدُّه الىٰ السماء والأُخرىٰ شيطانية تشده الىٰ الإكتفاء المادي الدنيوي: «**وَنَفسٍ وَمَا سَوَّاها * فألهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْواها**»[١٠]. فالنزوعان مستمران في الإنسان من المهد الىٰ اللّحد، وتلك حالهما في مسار البشر، منذ آبتدائه الىٰ نهاية الكون التي تسبقها ــ في المفهوم التوحيدي ــ مرحلة تحقُّق إزهاق الباطل بكلّ لوازمه، وسقوط حضارته/نموذجه الحضاري نهائياً بفرج الإمام المهدي وقيام دولته تحقيقاً «لمنة اللّه علىٰ المستضعفين ووسيلة لاستخلافهم في الأرض ووراثتهم لها»[١١]، تصديقاً لقوله تعالى: «**ونُريدُ أن نَمنَّ علىٰ الذين آستُضعِفُوا في الأرض ونَجْعلَهُم أئِمَّةً ونَجعَلَهُم**

الوارِثِينَ»[١٢]، وإنفاذاً «لماوعداللّه به المؤمنين والصالحين والمتّقين في الكتب السماوية المقدّسة»[١٣]: «وَلَقَد كَتَبْنا في الزَّبُورِ مِن بَعدِ الذِّكرِ أنَّ الأرضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصالِحُونَ»[١٤]. فسنّة الحقّ النصر، وسنّة الباطل الزهوق، قال تعالى: «بَل نقذِفُ بِالحقِّ علىٰ الباطِلِ فَيَدمغُهُ فإذا هُوَ زاهِقٌ»[١٥]، «وَقُلْ جاءَ الحَقُّ وَزَهَق الباطِلُ إنَّ الباطلَ كانَ زَهُوقاً»[١٦].

إنَّ قراءةً عموديةً لتاريخ الحضارة البشرية قد لا تستدعي كبير عناء للاهتداء الىٰ أصل وحقيقة هذا الصراع وجوهره. فكلٌّ من الحضارتين تصدر عن أصل وتخضع لسنن وقوانين، وتحمل حقائق ومشروعاً مختلفاً عمّا تحمله الأُخرىٰ، لأنها ترىٰ كلَّ ذلك بعين خاصة، وتتحرّك في أعضائها وأعماقها روح من سنخ مختلف.

فحضارة الباطل تبدأ من هذا العالم وتنتهي فيه علىٰ قاعدة أن «الخير هو أن يكون لك أقوىٰ مايمكن من الرغبات، وأن تجد الوسائل لتحقيقها» وفاق القانون اللّاأخلاقي «الإمبريالية» أثينا[١٧]، الذي قام عليه صرح الغرب الحديث الذي يقول: «مملكتي في هذا العالم وحده»[١٨] ردّاً علىٰ النصرانية التي نُسب فيها الى النبيِّ عيسىٰ(ع): «إنَّ مملكتي ليست من هذا العالم». وكيف لا تكون حضارة الدنيا هذه دنيوية طالما أنّها ذات أصل بشري، إذ وضعها البشر وصنعوها علىٰ قياس عشقهم لذواتهم، فعبدوا الحياة «بالطريقة التي يعبد بها النَهِمُ طعامه. إنَّه يلتهمه لكنَّه لايحترمه»؟![١٩]

هي الحضارة التي يتحرك فيها كلُّ شيءٍ و يتغيَّر في الزمان والمكان، بحيث لايُعتبر صحيحاً صحة دائمة وشاملة. «وإذ كان لابدَّ من اتّباع الدين فللغايات الدنيوية فقط»[٢٠]. وإذا قررت نظرة للجماعات والأُمم الأُخرى ونظامها وتنظيمها، فعلىٰ أساس التميز العنصري والقهر

العنفي والعصبية العرقية والإستغلال الإقتصادي والإستتباع الثقافي. ومايصل أثينا بروما وصولاً الى طليطلة، فباريس، ولندن و بون، ونيو يورك ، وطوكيو، أكبر بكثير من التوزع الجغرافي والقوة الإقتصادية و بورصة أسعار العملات والنفط، إنَّه فوق كلِّ هذا الإنفجار المدمر وتحته لأن اليونان والرومان في العصور السالفة وشعوب الغرب اليوم، كلّهم يتحدَّرون من صلب حضارة مادية واحدة[٢١] . وها هو التاريخ المعاصر علىٰ طرفة عين يذكِّرنا بأُمم مزَّقتها الضغائن القومية والأطماع كإنكلترا وأمريكا واليابان وألمانيا وفرنسا، وهي مع ذلك متفقة في أساسيات الحياة والمعيش والقيم و بُناها. وها هي دول المنظومة الإشتراكية التي ظلَّت تقول بوجود حضارتين علىٰ هذا الكوكب: «الحضارة الإشتراكية» و «الحضارة الرأسمالية»، تتهاوىٰ الواحدة تلو الأُخرىٰ وتتسابق علىٰ اللّحاق بركب النموذج الإستهلاكي الرأسمالي و يسقط جدار برلين.. الذي كان يسمّىٰ بـ «جدار العار» متزامناً مع إعلان صانع البيريسترو يكا السوفياتية ميخائيل غورباتشوف منذ أيام[٢٢] : «لم يعد في العالم اليوم سوىٰ حضارة واحدة» ــ وهو لايعني بالطبع حضارة الفطرة ــ.

إنَّه أكثر من تشابُهٍ، إنَّه تطابقٌ في الغايات، ولو افترقت السبل وكابرت الأيديولوجيات الصغيرة. «ففي ضجيج الحياة وضوضائها.. وفي تضارب العواطف والمصالح، وفي الحاح الدوافع العاجلة وضغطها، وفي صخب الأهواء وقنص الفرص تجد أبصار الغربيين لا تزول عن مثالهم الأعلىٰ وهو تحقيق وسائل الراحة المادية والسيطرة. إنَّ عشق هذه الغاية المثلىٰ لايتجلّىٰ في سياسة حضارة الباطل واقتصاده فحسب، بل يكاد يغطي كلَّ جوانب الحياة الأساسية بما في ذلك تكنولوجيتها وفلسفتها وقوانينها وأخلاقها وممارساتها»[٢٣] . ولِمَ

لا؟ فعندما تتوحد الغايات والمثل العليا والوسائل تنصهر الحضارات في حضارة واحدة ولايعود التفريق فيما بينها أكثر من تصنيف أكاديمي يتخذ من الإختلاف في الهوية والزمان والمكان والجيوسياسة وتنوُّع بعض الظواهر والتلوينات المحلية، إصبعاً يقف خلفها فيبدو هو منتفجاً متهدِّلاً، وهي أمامه صغيرة بلا ريش تجهد لتلمحها بوضوح.

وإننا إذ نسجِّل بتقدير كبير القفزات العلمية الباهرة التي تحققت في الغرب، نشير بقلق أكبر الى خطورة النتائج التي ترتبت عليها في جوّانية الإنسان، لأنها أنجبت اختزالاً ذا بعد واحد للشخصية الإنسانية يتمثل في نموذج الإنسان الفرعوني المنعزل عن القيم السامية، فترتب على هذا الإنعزال نشوء «عقلانية معاقة تحولت الى غاية في ذاتها»[٢٤] تعاني، أيَّما معاناة، من سوءتغذية روحية تمنح البشر سطوة عملاق لكي تلبّي حاجات قزم شرير[٢٥].

أمّا حضارة الحق والفطرة الإلٰهية والتقوىٰ فتصدر عمّا قبل هذا العالم، وتتجلّىٰ فيه، وتستمر مسؤوليتها عنه بعده، عند باعث روحها وخالقها، مالك يوم الدين، تنبثق من الفطرة الإنسانية السليمة التي تحكم بأن كل ما في الكون خاضع لقانون العلّية، فلايمكن أن نتصور ظاهرة لم يكن لها وجود في الكون ثم وجدت دونما علّة وسبب، وذلك وصولاً الىٰ مبدأ العلل والأسباب ــ الله سبحانه ــ. من هذا القانون نستنتج أن أجزاء الكون كلّها مترابطة وذات تأثير متبادل، بما في ذلك الإنسان باعتباره ظاهرة كونية يرتبط وجودها بسائر الموجودات وتتداخل فيها، وتتدخل، عوامل لاحدَّ لها ولاحصر، تخضع لإرادة خالقها تبارك وتعالىٰ، وتستمر حياتها بعد الحياة: «**قُلِ اللّهُ يُحييكُم ثُمَّ يميتُكُم ثُمَّ يَجْمعُكُم الىٰ يوم القيامَةِ لارَيبَ فيهِ**»[٢٦][٢٧]. إلّا أن

الإنسان/الظاهرة الكونية ليس موجوداً عادياً ولا ظاهرة كسائر الظواهر، بل المتصدي، فوق هذا وذاك، لمنّة خلافة اللّه في الأرض.

وفي الوقت الذي تَعتبر الحضارة الدنيوية فيه أن الإنسان حيوان عاقل، فإنَّ القرآن يرفعه الى سدة نيابة اللّه في العالم باعتباره من روحه: «**وإذْ قالَ ربُّكَ لِلملائكَةِ إنّي جاعلٌ في الأرضِ خليفةً قالوا أتجعلُ فيها مَن يُفسدُ فيها و يسفِكُ الدماءَ ونحنُ نسبِّحُ بحمدِكَ ونقدِّسُ لَكَ قالَ إنّي أعلمُ مالا تعلَمونَ**»[٢٨]. «**وإذْ قالَ ربُّكَ لِلملائكَةِ إنّي خالقٌ بَشَراً مِن صَلصالٍ مِن حمأ مَسنون * فإذا سوَّيتُهُ ونفخْتُ فيهِ من رُوحي فقَعُوا لهُ ساجِدِين * فسجَدَ الملائكةُ كلُّهم أجمعُونَ * إلّا إبليسَ أبىٰ أن يكونَ معَ الساجِدِين**»[٢٩]. «**ولَقَد كرَّمْنا بَني آدمَ وحَملناهُمْ في البرِّ والبحرِ ورَزَقناهُم مِن الطيِّباتِ وفضَّلناهُم علىٰ كثيرٍ ممَّن خَلَقْنا تَفضِيلا**»[٣٠].

إنَّ الإسلام في هذه الآيات، وهو يقدِّم في الإنسان، وله، حضوراً ومشروعاً حضاريَّين لامثيل لهما، وعندما يقلّده «أعلىٰ مراتب الموجودية بين الموجودات» ــ بتعبير صدرالمتألّهين ــ[٣١]، فينصِّبه ــ فضلاً وتكريماً ــ خليفة وسيِّداً في الأرض وما عليها، فإنَّما يلزمه مسؤوليات جساماً، و يؤسِّس لتنظيم المجتمع الإنساني و يصنع رؤيته الحضارية. فإدارة الإنسان للحياة والعالم، علىٰ المستويين الفردي والجماعي، تعني إطلاق طاقاته الروحية والعقلية والمادية فيهما، كما تعني إطلاق طاقاته الروحية والفكرية في قيادة هذا العالم علىٰ أساس «حفظ توازن الموقف البشري في الأرض»[٣٢] بين قوىٰ الإنسان الروحية وقواه المادية في ظلِّ السنن الإلٰهية و بهديها. وتلك قضية مركَّبة في قضايا بالغة التعقيد، ولذلك لم تترك العناية الإلٰهية الإنسان ــ وهي تحمِّله كلَّ هذه المسؤوليات ــ وشأنه، بل قدَّمت إليه دليل العمل الذي لايخيب في أدق التفاصيل العامة والخاصة، ممّا

يحميه من أسباب التفكُّك والتدمير الذاتي، فإذا ٱستمسك بعروته الوثقىٰ نجا في الدنيا والآخرة، وإذا أهمله هلك في كلتيهما، ولعل هذا المدار المنهجي هو أحد الأسباب الكبيرة التي تفسِّر ٱنهيار أُمم وسقوطها الكامل (٣٣).

إن الإسلام، بما هو روح الحضارة الإسلامية: «حقيقة، وله حكم في جميع شؤون الإنسان المادية والمعنوية الى حيث لايصل إدراككم له» (٣٤) في إطار خطة تربوية شاملة لايفارق فيها النظريُّ العملي قيد أنملة. وتلك الحقيقة مشادة علىٰ إنابة الجماعة البشرية في «الحكم وقيادة الكون وإعماره إجتماعياً وطبيعياً» (٣٥)، ومن أساسها تشكَّلت في الحضارة الإسلامية النظرية السياسية و بُنىٰ الحكومة ونظام القيم الإنسانية، وذلك عبر «حكم الناس لأنفسهم، وشرعية ممارسة الجماعة البشرية حكم نفسها» (٣٦) وإدارتها حياتها ونظامها بوصفها مستخلَفةً في العالم، و بالتالي فهي غير مطلقة الحركة والتدبُّر «وغير مخوَّلة أن تحكم بهواها أوباجتهادها المنفصل عن توجيه الله سبحانه وتعالى، لأن هذا يتنافىٰ وطبيعة الاستخلاف» (٣٧).

وفاق هذا النموذج الحضاري الإلٰهي، يمنهج الإسلام دورة الإنسان في العالم و يحفظ توازنها، و يربطها بمصدريَّتها و يشرِّع لها قوانينها العملية، فيتحول الاستخلاف الإلٰهي للإنسان الى حركة مستمرة لكدح نحو اللّامحدود والمطلق في إطار الإنضباط بين إرادة الإنسان وحريته ومسؤولياته من جهة، والإرادة الإلٰهية/الفعل من جهة أُخرىٰ، و بين الإنسان والإنسان، و بينهما و بين الأرض.

في هذا المدىٰ التفاؤلي تقرأ الحضارة الإسلامية الوجود عندما تحرِّر الإنسان من العبودية للعالم فتجعله وصياً عليه، وتخلّصه من جبرية الخيارات المادية باتجاه إنماء قابلياته الكامنة إنماءً كاملاً متكاملاً،

وتطويرها، وجعله مسؤولاً عن مصيره. فما من امرئٍ يولد ومعه لعنة الخلود في النار أو بطاقة السفر الحتمي الى الجنة، لكن مصيره هو ماتقرره أعماله ومدىٰ التزامه أو مفارقته نظام القيم الإلٰهي لمسيرة البشرية[٣٨].

الإمام وصراع النموذجين الحضاريين

من روح هذا المشروع الإسلامي الحضاري للعالم، كان الإمام الخميني، ولواءَ الدعوة إليه والاستنهاض به حَمَلَ، وعقيدته ومبادئه اعتنق، وبأحكامه وحدوده عمل، وعلىٰ خط الأنبياء والرسل والأئمة سار، مستنهضاً ومربِّياً وثائراً وشاهداً، والمسلمون ظهرهم الىٰ الجدار، والمأزق الحضاري والوجودي في الأوج.

كان مشروع حضارة الباطل قد اكتسح صدر الأُمَّة وتكرَّس كمشروع منتصر في العالم، بعدما هزم كلَّ الآخرين واقتلعهم من جذورهم وذواتهم، واستوعبهم. أمّا الإسلام فكان قد تحول الى مجموعة أسفار مجيدة تنوء بأثقالها الظهور المكسورة، فأودعتها رفوف المكتبات الدهرية أو فيما خلف الذاكرة مبدَّدة التأثير، أو متروكة لعبث مستشرقي الداخل والخارج، وأُخرج القرآن من الساحة «حتى كأنه فقَدَ دوره في الهداية»[٣٩]. لمشروع الباطل ذاك، ومن مستنقع الهزيمة السائدة قام الإمام متصدِّياً، إماما ملكوتياً، راسخاً في علم باطن الشريعة وظاهرها، ومبيِّناً للحقائق الإلٰهية، ومرتقياً نحو «عز الربوبية بذلّ العبودية»[٤٠]، ومرجعاً دينياً، ومفكِّراً مجدِّداً، وحكيماً فذّاً، وقائداً سياسياً هادياً.. بتلك كان الإمام، وبها استعادت الأُمة إمامتها ودورها.

لقد عرفت البشرية على مدى الزمن قادةً كباراً ومصلحين وتغييريين كثراً، لكنهم جميعاً ظلّوا دون مرتبة الأنبياء والأوصياء والصدّيقين. كما عرفَتْ دعاة ورساليين في شتى المجالات، غير أنهم لم يرتقوا الى درجة الأولياء الصالحين، ولم يشكّلوا انعطافاً تاريخياً نوعياً، بحيث يكوّن جهدهم وتراثهم وكفاحهم طفرة كبرى، وارتجاجاً في عقل العالم وروحه، وانشعاباً في مساره. وليس عبثاً أن لايسجّل التاريخ طفرة حقيقية إلّا وكانت مسجّلة باسم واحد ــ أو أكثر ــ من أُولئك الرساليين الإلٰهيين الذين عرفتهم البشرية. لكأنما ثمة سنّة إلٰهية لا تمنح فضل تحقيق تغيير في المسار التاريخي للإنسانية إلّا لِحَمَلة المشروع الإلٰهي من خاصة أوليائه، ممن فُتِحَ باب الملكوت أمامهم في مراتب حدَّدها اللّه تبارك وتعالى، متدرجين من النبوة فالإمامة والولاية والوصاية فالنيابة، ومن المعصومية الى مايتلوها موقعاً، بحيث تتماسك هذه المراتب وتتدرج من أعلى الى أسفل مشدودة بإحكام إلٰهي الى محور واحد هو عقيدة التوحيد المتجلّية بحضارة التوحيد المحتضنة محتواه. فإذا الإمام الخميني، سليل هذه الدوحة، فيه بإبراهيمَ وموسى وعيسى ومحمَّد(ص) والأئمَّة(ع)، قربى الروح وغائية الهدف الواحد، والسبيل الواحد على طريق القضية الواحدة، والى ذلك كلّه إيمان الإمام بربّه، وإيمان بشعبه لايصرفه عنه شيء[٤١]، فزاده اللّه هدىً.

أذَّنَ الإمام: «حيَّ على خير العمل»، فَبُعِثَتْ حضارة التوحيد من جديد، مشمِّرة للصلاة واستئناف مسيرتها الجهادية ــ كما الأُمَّة ــ في وجه حضارة المادة والباطل، لتستعيد مسؤولية اضطلاعها بحمل مشروعها الإلٰهي، وتعيد تجديد عهد الإستخلاف الرباني للإنسان في الأرض، بعدما طال زمان نكوثها به قروناً عديدة.

وليس المقصود بفعل التلبية هذا أن الأُمة الإسلامية قد قفزت قفزاً ميكانيكياً من عتمة الذات والتاريخ الىٰ وهج الرسالية مرة واحدة، وبطرفة عين، فالنقلات الحضارية للأُمم ــ ولو باندفاع ثوري ــ لا تكون بهذا «السحر الآلي»، لكنَّ المقصود أن الإمام شقَّ تلك العتمة بجراءة الإيمان الإلٰهي ليعيد بعث الرسالة بالأُمَّة، وبعث الأُمَّة بالرسالة، وليميط عنهما أغشية الإخفاء وحُجُبَ التسيُّب الروحي وهجوع الحركة. ولم يطُل الأمر بالنفوس الموصَدة والقلوب المقفَلة حتىٰ استقامت لتعي حقيقة غفلتها وأسبابها و «تنتقم» منها بصحوات ذاتها المستعادة، فسارعت الى طيِّ تاريخ الذلَّة، وقفزت فوق التطور التاريخي ومسافات الزمن كأنَّما تمارس فعل «إسراء» جديد تتماهىٰ فيه، وتكسر أسوار قطيعتها مع السماء، وتعيد تقويم مسيرتها في الأرض بهدي تعاليم السماء، فتنكشف أمامها معالم المسار الصحيح، وينمحي الزمن في فعل التجرُّؤ علىٰ الموت.

لم يَسُدِ الصمت والسكون لحظةً في وجدان الإمام، إذ سرعان ما انبرىٰ لعصره، بعد أن اختزن في وعيه تاريخ الأمس المشرق، ليغري مكنونه، ويستجلي مواطن الدَّاء، ويشخِّص مواضع الخلل، والدنيا من حوله مطوَّقة بالأضواء الخلَّب والأشياء، حتىٰ عَشِيَتْ الشعوب المغلوبة وكادت تفقد حتىٰ البصر، بعد ما تمَّ إفقادها البصيرة. وإذا العالم عالمان: عالم المستضعفين، وعالم الطاغوت والإستكبار المتمادي في نهش جسد العالم الأول ولعق دمائه. بينما الإسلام/الخلاص أسير التخلُّف والتبعية والمسخ والإبعاد والبدع، فشهر الإمام علمه وأظهره، ولم يكن الإظهار إلّا التزاماً بأحكام اللّه وشريعته، وامتثالاً لأمره ومشروعه للبشر كافَّة.

بعين الإسلام ومنهج الرؤية فيه نظر الإمام الخميني الىٰ العالم

فلم يجد سوىٰ نموذجين حضاريين إذن: نموذج الإستضعاف وفيه المسلمون، ونموذج الطاغوت الجامع لكلّ قوى الباطل وأتباعها في الأرض. وقد سمّاهما الإمام: «طريقين: طريق اللّه وطريق الطاغوت»[٤٢]، وليس ثمة طريق ثالث، ومصطلح «الطاغوت» قرآني كما نعلم، وفاق قوله تعالى: «**والَّذِينَ كَفَرُوا أَولِياؤهُمُ الطاغُوتُ**»[٤٣][٤٤] أمّا مصطلح الطريق الآخر فمصدره الآية الكريمة: «**اللّهُ ولِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ الىٰ النُّورِ**»[٤٥]، وذلك استناداً الىٰ رأي الإمام نفسه[٤٦]. والطريقان المنوَّه بهما متطابقان مع مفهوم الحضارتين/النموذجين الحضاريين اللّذين عرضنالهما في الصفحات السابقة: نموذج حضارة الحق، ونموذج حضارة الباطل.

أمّا طريق اللّه/النموذج الحضاري الإسلامي، فهو الطريق الذي «يجعل الإنسان مهتدياً في جميع جوانب حياته: في الجانب العقلي، وفي الجانب المتوسط الذي هو الجانب الخيالي، وفي الجانب التنزُّلي وهو جانب العمل. فاذا سار (الناس) على هذا الصراط المستقيم فهم إلٰهيون، فالطريق طريق اللّه، وكلٌّ من سلك هذا الطريق هو إلٰهي، حتىٰ يكون كلُّ شيءٍ من الإنسان في أعماله وحركاته، وفي تخيُّلاته، وفي تعقُّلاته إلٰهياً» ارتكازاً الى تحديد الإمام.[٤٧].

أمّا طريق الطاغوت/النموذج الحضاري الباطل فهو ــ عنده ــ طريق الظلمات: «طريق ظلمات العالم كلِّه الذي لايتوجَّه الىٰ اللّه»[٤٨] ــ علىٰ حدّ تعبير الإمام ــ باعتبار طريق اللّه وحدها هي الطريق الىٰ النور «والنور هو نوراللّه المطلق الذي يجب أن يتوجَّه العالم كلُّه نحوه»[٤٩]. فكلُّ ماهو خلاف التوحيد «هو الكفر وهو الطاغوت ونهايته الىٰ جهنَّم»[٥٠]. وبالتالي، فإنَّ «كلَّ حركة يقوم بها الإنسان، سواء كانت حركة قلبية، أو روحية، أو حركة عضوية،

ليست خارج هذين الحدين»[٥١]/النموذجين الحضاريين. فإمّا أن تكون باتجاه الصراط المستقيم الى اللّه، وإمّا باتجاه «الطاغوت المنحرف نحو اليسار أو نحو اليمين»[٥٢].

الى هذا المنهج إذن يستدل الإمام بالقرآن، و بجوهر رسالات الأنبياء وأهدافها فيقول: «وقد أنعم اللّه علينا بمجيء الأنبياء ليهدونا الىٰ طريق اللّه الذي يوجب إيصال العالم بأسره الىٰ السعادة والعيش براحة وأمان في جوٍّ من التربية الصحيحة، و يعيدوا الناس الى مسار التوحيد الإلٰهي.. هذا طريق اللّه.. فعلينا جميعاً أن نتحرّك في هذا الطريق... والذين يدعون الىٰ غيره و يوجّهون الناس الىٰ خلاف مسيرهم الطبيعي ومسير فطرتهم هم الضالّون، وهم الطواغيت»[٥٣].

نحن أمام نموذجين حضاريّين مختلفين في مفهومهما ومنطلقاتهما وأهدافهما ونظرتيهما الىٰ الإنسان والحياة والتاريخ والطبيعة وماوراءها، ولا تصالُح بينهما، فالصراع بينهما ــ أي بين الحق والباطل ــ هو الذي يحكم علاقتهما: نموذج يشد الأرض الى السماء، ونموذج يشد الأرض الى الأرض. وإذا كان بعض حواريي النموذج الثاني يرفعون أنظارهم نحو السماء، فإنهم يفعلون ذلك بعد أن آستنزلوا إلٰههم من السماء الىٰ الأرض وجسّدوه في كائن أرضي،[٥٤] أو حوّلوه الى عجوز بهيٍّ الطلعة يقطن السماء، أمّا الأرض فهي لقيصر، وقد نُسِخَتْ رسالة اللّه وسخّرت لخدمة الطواغيت، بينما النموذج الأوّل/التوحيدي يقول باتجاه موجودات العالم «في اتجاه واحد، ونحو مركز تكامل واحد وفق نظام منسجم»[٥٥]، كما يقول «بوحدة الكائن الإنساني في محتواه الداخلي، وفي حركته التكاملية الإنسانية ووحدة المجتمع الإنساني في نظمه واتجاه حركته»[٥٦] علىٰ طريق عبودية اللّه الواحد الأحد، لذلك حمل بالإسلام «في يد منطقاً ودعوة

ومنهجاً في التربية والتعليم لخلق إنسان ذي محتوىً داخلي موحد.. وحمل في يد أُخرى سيفاً لاقتلاع جذور العلاقات الإنسانية الظالمة، وللإطاحة بالطبقية، ولتحطيم الطواغيت»[٥٧].

لقد تماهىٰ النموذج الحضاري الإسلامي في الإمام، وتماهىٰ الإمام فيه، فانفلق من هٰذين التماهيين موجٌ طامٍ لَجِبٌ قَلَبَ بفعله معادلات الواقع والتاريخ الحديث والحياة، واستوت بفضله سفينة الأُمَّة مصحِّحة مسيرتها الىٰ قبلتها الأصيلة.

فأنقذ الإمام المشروع الحضاريَّ الإسلامي، كما أنقذ نوح بفلكه نسل الحياة، وكان فعله الإنقاذي بذاته نموذجاً حضارياً إلٰهياً علىٰ هدىٰ خطِّ الرسالات والأنبياء.

إنَّ الظلام كثيف المرور علىٰ معابر العصور والتاريخ. أمّا في عصرنا هذا فإنَّ اشتداد حلكته قد أمات الحواس والأحاسيس وسوَّد العقول، وبدا الظلام سرمدياً.. حتىٰ جاء الإمام واختزله لحظات جهالة وغفلة، إذ أنار طريق اللّٰه، مندفعاً لاستنهاض المسلمين والعالم إليه، مجاهداً لاسقاط «الأنا» الدنيوية بكل امتداداتها، وقطع جذور التبنِّي لنموذجها الحضاري والإرتماء في تبعيته، وذلك بالعودة الىٰ الإسلام، «لا كتقليد أو وراثة»[٥٨] أو تراث متحفي، بل كـ «ايديولوجية» وتصوُّر لما يجب أن يكون، وكنظام خلاص وحياة بعيداً عن العموميات الذهنية التي ابتدعتها حضارة الباطل وحاولت من خلالها «إلغاء أصالة البشر الثقافية في العالم كلِّه»[٥٩] وإرساء دعائم «المبدئية المطلقة لقيم الغرب»[٦٠] مكانها لتكون «كبديل عن ضائع» بحيث لا تجد الأُمم المستضعَفة أمامها سوىٰ خيارين «حتميين» فرضهما الطاغوت: إمّا الإنتحار في الإستمرار بالبدائية والتوحُّش، وإمّا الحياة في «فردوس» الاستتباع والاستلاب في ظل

حضارة الغرب «العظمىٰ».

و بذلك حشر الغرب المتفوّق العالم الاسلاميَّ بين مطرقة التحول الى «غربي علماني مُعَصْرَن» وسندان التخلُّف والاندثار[٦١]، وقد انطلت هذة الأكذوبة «الإختيارية» على الكثيرين من قادة العالم المظلوم المعاصرين. وها هو مصطفى كمال أتاتورك ــ الذي اعتبره «أرنولد توينبي»: «حسن حظٍّ للشعب التركي»[٦٢] ــ يسارع الىٰ فرض «الإستقلال الكلي عن أية مرجعية للإسلام» علىٰ الشعب التركي، مستظلّاً بشعاره الشهير: «امّا أن تصبح عصرياً، وإما أن تزول من الوجود»[٦٣] فتخلُّف العالم الإسلامي عنده «سببه الإسلام نفسه»[٦٤][٦٥].

من هنا نفهم أصلاً مهمّاً من أُصول ثورة الإمام الخميني بالإسلام علىٰ نظام الشاه، باعتبارها ثورة على المحتوىٰ الحضاري لذلك الطاغوت، عندما أكَّد الإمام «أن المدنية التي فرضوها أيام الشاه.. هي مدنية أسوأ من التوحُّش»[٦٦]، «وحينما يزعم الشاه بأنه يسير بإيران نحو بوابة (الحضارة العظمىٰ) فإنّما هو يكذب»[٦٧]

الإمام والمشروع الحضاري الإسلامي

قد يبدو الحديث عن الإمام الخميني والمشروع الحضاري الإسلامي، وكأنه حديث كما المألوف في الأنماط المشابهة، عن مُنَظِّرٍ ونظريته، أو عن منظِّر ونظرية، مما يقتضي ــ بالتالي ــ طرح موضوع بات من قبيل لوازم الفكر السياسي المستهلك وتداعيات العلاقة بين الفكر والواقع، وهو موضوع: النظرية والتطبيق.

وربَّما يصح طرح هذه المسائل كافَّة في فكر المفكِّرين الأرضيين، ومدىٰ إمكانية إسقاط نظرياتهم علىٰ الواقع المعيش في شتىٰ الشؤون. أمّا في موضوع فكر الإمام الخميني فالقضية غير مطروحة من أساسها، لأن الامام ينطلق و يتكامل و يحاكي «فكراً» منزَّلاً، ولأن فكره منبثق من السماوي المطلق الكامل. بينما نجد أن المفكر الأرضي، في تفكيره الأرضي، لايمكن أن يصدر عنه إلّا فكر ناقص، لأنه بذاته ناقص. والكامل وحده يستوعب الناقص، وليس العكس صحيحاً. وتلك مسألة حضارية جوهرية يختلف فيها منهج الفكر في الإسلام عن المنهج الأرضي اختلافاً بنيانياً.

وعلىٰ هذا الأساس يكون من باب التعسُّف ــ عندنا ــ اعتبار الإمام «مُنَظِّراً»، بالمعنىٰ الرائج للمصطلح. ولسنا ندري ــ استطراداً ــ ما إذا كان الكلام علىٰ «التنظير» في الإسلام، وأيضاً

بالمعنى المتعارف عليه للمصطلح، جائزاً ودقيقاً. وقد يكون من نافل القول في هذا السياق، أننا لسنا في مجال مناقشة مسألة الفكر أو التفكير في الإسلام ها هنا، فتلك مسألة أُخرى لها في النص القرآني خطاب متكامل يتوزع على ثلاثمئة موضع أو تزيد[٦٨]، وتستدعي بحثاً مستقلاً.

في هذا السياق نعتقد ــ من جهة أُخرى ــ بعدم وجود نظرية منفصلة عن التطبيق في المشروع الحضاري الإسلامي، وخصوصاً في قضية الإمامة والولاية بما هي قضية مبدئية من قضايا هذا المشروع. «فالنظرية» فعل إنساني، و «التنظير» من شأن البشر. أمّا في الإلٰهي فثمة أحكام وشرائع وأوامر ونواهٍ وسنن لامجال للشك في صحتها ومصداقيتها وخيرها لمصلحة المستخلَف البشري على الأرض. وأهم من ذلك كلّه أن الإخلال بها والنكوص عليها، مستوجبان لأعباء مسؤوليات وعقوبات موصوفة في الدنيا والآخرة. وليس الإمام ــ أو مَن هم في موقعه ــ بمثابة منظِّرين، بل «علماء بالقانون الإسلامي»[٦٩] الإلٰهي، ومتصدُّون لبيان أحكام الله عزَّوجلَّ وإقامة حدوده وتنفيذ ما أمر به ومانهى عنه، متحقِّق فيهم، الى جانب الأعلمية، شرط ضروري آخر هو العدالة[٧٠]، على أساس أن «العلم بالقانون، والعدالة، هما ركنان من أهم أركان الإمامة»[٧١]، أي أن فقاهتهم وعلمهم إدراكان حصوليان لموجود متنزِّل من لدن الله سبحانه. إنهما بتعبير آخر: أرضيان يكدحان الى السماوي، بما هو أيضاً مقرَّر لخدمة الأرضيين وصلاحهم، في الحياة، وفيما بعد الحياة، في تكامل إرتقائي لاينقطع. ومتى كان السماويُّ منفصلاً عن الأرضي ؟!

والعلم والعدالة مستدعيان لشرط ثالث مستكنٍّ فيهما ضرورة، هو شرط الكفاية. فمسألة الكفاية «داخلة في العلم بنطاقه الواسع»[٧٢]،

وهي الىٰ ذلك لازمة للعدالة التي لا تستتمُّ ولا تستقيم إلّا بها.

من باب العلم والعدالة والكفاية، إذن، يَدلِف الفقيه الىٰ موقع السلطة والحاكمية ولياً يلي من أُمور المجتمع ماكان يليه النبيُّ والأئمَّة(ع) منها، فوجب علىٰ الناس أن يسمعوا له و يطيعوا. «فللفقيه العادل جميع ماللرسول والأئمَّة الطاهرين عليهم السلام ممّا يرجع الىٰ الحكومة والسياسة، ولايُعقَل الفرق، لأن الوالي ــ أي شخص كان ــ هو مجري أحكام الشريعة، والمقيم للحدود الإلٰهية، والآخذ للخراج وسائر الماليات، والمتصرف فيها بما هو صلاح المسلمين»[٧٣] ــ وفاق قول الإمام الخميني ــ فهل كان النبيُّ (ص) منظِّراً؟ وهل كان الوصيُّ منظِّراً؟

«إنّ فضائلها لم تكن تخوِّلها أن يخالفا تعاليم الشرع، أو أن يتحكَّما بالناس بعيداً عن أمرالله»[٧٤]، بتعبير الإمام الخميني. فهمَّتاهما تتصدَّيان للشأن الإجرائي التنفيذي فيما هما موكلتان به أساساً في تكليفهما الشامل، وهما في الموقع الجليل الذي شاءه الرحمٰن لهما. فاذا كان هذا شأن النبي والوصي علىٰ المستوى التنفيذي، فأحرىٰ أن يكون الفقيه الحاكم في هذا الجانب متمسِّكاً بذات النهج، خاصة وأنَّه يملك «من أمر الإدارة والرعاية والسياسة للناس ماكان يملكه الرسول(ص) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)، علىٰ مايمتاز به كلٌّ من الرسول والإمام من فضائل ومناقب خاصة»[٧٥].

ولاينبغي أن يُساء فهم ماتقدَّم فيظن ظانٌّ أننا ننزع عن الفقاهة الكفِيَّة العادلة حق الفكر والإبداع الفكري، فهذا شأن هو من باب «تحصيل الحاصل». فأنَّىٰ للفقاهة العادلة الكَفِيَّة أن تكون كذلك من غير فكر مبدع؟. ومن قال: إن الفقيه المجتهد الموصوف بالعدل هو حاسب آلي مبرمج ومتخصِّص في إصدار الفتاوىٰ وتصنيفها؟

ليس الإمام الخميني ــ إذن ــ منظِّراً، بل هو حامل المشروع الحضاري الإسلامي الذي هو بذاته «نظريتُهُ» الإلٰهية ودليل هدايته وحافظها، فقد أعاد الإمام إليه ما أفقده العباد من زخم الفعالية بعد أن جهلوه فهجروه.

لقد هاجر إليه الإمام مستعيداً مستنقذاً، وثار به وله وفاق ذات المنهج النبوي والإمامي. وكلُّ تميُّزٍ حضاري برز في مسيرته، وكلُّ فعل، واجدان أصلهما ومبدأهما وحكمتهما في الإسلام كتاباً وسنة. كيف لا؟ وللإسلام حكم في جميع شؤون حياة الإنسان المادية والمعنوية «الى حيث لايصل إدراككم إليه»، كما سبق وأشرنا و بتعبير الإمام نفسه.

في انتظام هذه المسيرة التاريخية وانضباطها داخل أُطر المشروع الحضاري للإسلام؛ لاحظ الدارسون ثلاث مراحل أساس: مرحلة الاستنهاض والتبليغ، ومرحلة الثورة، ومرحلة تأسيس الحكومة الإسلامية وإطلاق عقال الدولة.

لكن هذا التصنيف ــ في رأينا ــ مجرَّد ضَبْطٍ كلاسيكي وأُفقي لمراحل تقليدية مرت بها ثورات تاريخية عديدة عرفها العالم، و بالتالي فهو لاينطبق تماماً علىٰ طبيعة ومنطق ومجريات الثورة الإسلامية في إيران، كما أنَّه مخالف للنموذج الحضاري الثوري منظوراً إليه بمنهج الإسلام ومعاييره.

إننا إذ نقول بوجود «مراحل» ثورية متدرِّجة من الدعوة، الىٰ الثورة، الىٰ الدولة، فذلك يعني أن الدعوة تنتهي بانفجار الثورة، وأن الثورة تنتهي بنشوء الدولة ووصول الأُمَّة الىٰ حالة الثبات والسكونية والإستقرار متدبِّرة شؤونها، مرتدَّة الى جوّانيتها تتشرنق فيها في نظام معيش الأُمم وعلاقاتها «المستقرة»، في حدود دولة يُصْطَلحُ علىٰ تسميتها بالدولة الستاتيكية داخل حكومة استاتيكية.

هذا المسار الثبوتي السكوني، مسار مسطّح أُفقي، يفهم حركة البشر بمنهج دينامي أمامي (بفتح الهمزة)، بينما يراه الإسلام ــ والإمام الخميني حامل لوائه ــ بمنهج دينامي آخر قائم على ٱرتقاء لولبي باتجاه المثل الأعلى الإلٰهي: «**يا أيُّها الإنسانُ إنَّكَ كادِحٌ الىٰ ربِّكَ كَدحاً فمُلاقِيهِ**»(٧٦).

«فالإنسانية بمجموعها تكدح نحو الله سبحانه، والكدح.. يعني السير المستمر بالمعاناة والجهد والمجاهدة... بل هو سيرٌ ٱرتقائي، هو تصاعد وتكامل»(٧٧) من هذا العالم الىٰ العالم العلوي، و بين هذا العالم والعالم العلوي.

يقول الإمام الخميني في إشارة الىٰ الآية السادسة من فاتحة كتاب الله التي يردّدها المسلم في صلاته عشر مرات كلَّ يوم «**إهدِنا الصِّراطَ المُستقِيمَ**»: «الصراط المستقيم أحد رأسيه هنا، والرأس الآخر في ذلك الجانب من العالم، مبدأ النور... والذين يدعون الىٰ غير هذا الطريق هم الطواغيت»(٧٨)(٧٩).

لكنَّ هذا الارتقاء ليس ارتقاء عمودياً بالمعنىٰ الرياضي للكلمة. إنَّه لولبي بحيث تصّاعد الأُمَّة فيه من خلال دوائره. وكلُّ واحدة منها تشكّل مرحلة تطوُّرية من مراحل صعود المشروع الحضاري الإسلامي باتجاه مثله الأعلىٰ الربّاني، وتتكامل فيها الدعوة بالثورة والدولة، وتحتضن الثورة المرتقية الدعوة والدولة، وترتفع الدولة الىٰ الدعوة والثورة فتدفعها باتجاه حركة تصاعدية جديدة.. وهكذا يتطور المشروع الإسلامي و ينمو بحركة الأُمَّة وعبورها التاريخي ليعمَّ العالم، وتتحقّق أهداف الإستخلاف الإلٰهي للإنسان علىٰ الأرض.

وهكذا تتوحّد الدعوة والتبليغ والثورة والدولة في مدار واحد فلا تكتفي إحداها بذاتها أبداً، وتغدو الدعوة دائمة والثورة دائمة والحكومة مستمرة النمو والتوسُّع والتقدُّم. لكنَّ الدعوة تبقىٰ الثابت التأسيسي

والمُواكب.

ألا يتخذ الشعار المسمّىٰ ــ بتعبير عربي غير دقيق ــ «تصدير الثورة» محتواه من هذا البعد المنهجي؟

إنَّ المشروع الإسلامي الذي كان باعث الإمام، و بسبب من جهوزيته، يختزن في ثناياه ــ بلاريب ــ كلَّ مراحل الثورات بشكلها الكلاسيكي دفعة واحدة. كذلك كان ــ بالإسلام ــ منذ بعثة النبي وصولاً الى انتقاله الى الرفيق الأعلىٰ وفي ثورة الإمام الحسين وجهاد الأئمَّة، وكذلك هو في ثورة الإمام الخميني عندما بدأها في كلِّ شيءٍ على كلِّ شيءٍ ــ من الإسلام بالإسلام الىٰ الإسلام ــ لإسقاط الطاغوت. فمنذ اللَّحظة الأُولىٰ قام بفعل التثوير ليحكم الإسلام. إنَّه في قلب دائرة التثوير الدائم التكاملي، بحيث تمثِّل كلُّ نقطة في هذه الدائرة، كل أنشطة الثورة الحيوية بغية إيصالها الى الهدف المنشود.

في هذا المنهج الوحدوي التوحيدي يمكننا ــ إصطلاحاً ــ الكلام علىٰ موضوعات في الثورة الإسلامية القابضة علىٰ المشروع الحضاري للإسلام، أو على مفاهيم تثوير هذا المشروع، وليس علىٰ مراحله، فندرس موضوع/مفهوم التبليغ والاستنهاض، وموضوع/مفهوم الثورة، وموضوع/مفهوم الحكومة والدولة، مؤكِّدين علىٰ مسلَّمة سبق لنا وناقشناها، وقوامها أن الإسلاميَّ في مسألة الفكر متحدِّر من الإلٰهي، ومتنزِّل عنه، إضافة الىٰ اعتقادنا بتعذُّر فصْل «النظرية» عن التطبيق هاهنا، و بالتالي تعذُّر إمكانية الحديث عن مفهوم/تصوُّر مستقل عن «كيفيته» وأهدافه. قال تعالىٰ: «**إليهِ يَصْعدُ الكَلِمُ الطيِّبُ والعَمَلُ الصالحُ يَرفَعُهُ**»[٨٠] فالكلم الطيب هو «الاعتقادات الحقة التي يسعد الإنسان بالإذعان لها و بناء عمله عليها ــ وهي التوحيد.. ــ ثم إن الإعتقاد والإيمان إذا كانا صادقَين حقاً، صَدَّقَهُما العمل ولم

يُكَذِّبُهُما.. فالعمل من فروع العلم وآثاره التي لا تنفكُّ عنه»[٨١] بماهو معرفة بحقائق الإعتقاد والإيمان. و «إذا آمن الإنسان باللّه تعالىٰ، ورآه بعين القلب كما يرىٰ الشمس ببصره فإنه من غير الممكن أن يرتكب أيَّ ذنب» أو معصية، وفاق رأي الإمام الخميني[٨٢]. وليست العبادة بالنسبة الىٰ العابد الحقيقي سوىٰ «عهد»، وما الحياة إلّا ساحة الوفاء بهذا العهد[٨٣].

قياماً للوفاء بهذا العهد، وتشبُّثاً بأُصوله التكوينية وبنموذجيته الحضارية، واتحاداً فيها، تجلَّتِ إمامية الإمام، فإذا به نموذج للعالم الفقيه المسلم، ونموذج للعارف المسلم، ونموذج للمستنهض المسلم، ونموذج للثائر المسلم، ونموذج للعابد المسلم العاشق لعبوديته، ونموذج للقائد المسلم.. إنَّه نموذج للإنسان الإلٰهي الذي تتوحَّد فيه هذه النماذج الحضارية كلُّها وتتذوَّب.

الإستنهاض والدعوة/تثوير الجوّاني والمشروع الحضاري الإسلامي

لم يعرف التاريخ الإسلامي بعد الأئمَّة، قائداً ومفجّراً لثورة، تحقَّقت أم لم تتحقَّق، برؤية ثاقبة مهدية وهادية بالمستوىٰ الذي تجلَّت فية رؤية الإمام الخميني. وليس هذا الحكم إسقاطاً عاطفياً، ولاصادراً عن حالة ولاء شخصانية. ففكر الإمام وسيرة جهاده الطويل، ومسيرته العلمية والسياسية والشخصية، هي بذاتها تحدٍّ كبير للباحثين الموضوعيين، فليسبروا أغوار هذا الرجل التاريخي، ولو كانوا في موقع الخصم الايديولوجي.

هو ذا المشروع الحضاري الإسلامي، وهو ذا الإمام نصاً وفكراً وعملاً وروحاً، وهي ذي الأُمَّة التي وقفت خلفه حيّاً مستنفرة مستجيبة، وشيَّعته وليّاً الى رضوان الله، وها هي اليوم شاكية السلاح لحراسة خطّه ونهجه والإعتصام بمشروعه/مشروعها الذي أصبح أمانة في عهدة الأُمّة كلّها، وها هو الإسلام يمسك بزمام المبادرة من جديد، وقد أعاد نصب راياته حتىٰ في قلب الغرب.

كان كلُّ شيءٍ واضحاً في عقل الإمام وقلبه: الأهداف الجهادية وقضايا الإستنهاض.. المستنهَضون ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.. جهوزية مشروع الإستنهاض والتنفيذ.. أدوات التنفيذ وقواعده بعديدها البشري وعناصرها المعنوية.. إقامة الحكومة وتنظيم الدولة... الخ. كلُّ ذلك الى

درجة يخيَّل فيها للباحث المتتبع لنصوص الإمام، وكأنه يكاد يسمِّي الشخص المناسب لكلِّ مهمَّة مندوبة، والمسؤول عن كلِّ شأن من شؤون تأسيس الحكم والإدارة والوزارة والقضاء والسياسة... ومن يقرأ الباب الأخير من كتابه «الحكومة الإسلامية»[٨٤] لايعوزه مصداق لما نزعمه. فقد أجاد الإمام تشخيص العلل بمقدار ما أجاد في معرفة الأدواء، وأتقن معرفة ماحدث ومايحدث وماسيحدث في مسار الأُمّة بقدر إتقان امتلاكه للخيارات الواقعية والصائبة في التصدي والمواجهة والحسم، وأدرك حركة القوانين والسنن الإلٰهية في الناس، فما طاش عن هدف، وما فَتَّتْ من مَضاء عزيمته عقبةٌ أو صعوبة، ولا أعوزته في القرارات الخطيرة والمواقف المعقَّدة شجاعة الحكيم العارف وجراءة المواجه الذي لايهون ولايلين

إستراتيجيةً متكاملة كاملة وَضَع، وقد أثبتت دقَّتها ومصداقيَّتها فيما بعد علىٰ الملأ، وأحياناً من خلال حركة التفاصيل.

و بقدر إحاطة الإمام بأهداف مشروعه الكبير، كانت معرفته بخطط التنفيذ و وسائله.

لقد أدرك رضوان اللّه عليه، واعياً كلَّ الوعي لطبيعة التجربة التبليغية النبوية وظروفها البالغة التعقيد، واستناداً الىٰ الوصايا والتعاليم القرآنية الشريفة، أنَّ الدعوة الىٰ سبيل اللّه تقوم بالحكمة والموعظة الحسنة. فنحا نحو الرسول(ص) داعياً ومبشِّراً ومحرِّضاً ومربِّياً ونذيراً ومعلّماً وقدوة.. كما الأنبياء والصدّيقون؛ خَدمةٌ للمبدأ والعقيدة، لايخشون في اللّه أحداً: «الَّذينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللّهِ وَيَخشَونَهُ ولايَخشونَ أحداً إلّا اللّهَ وكَفَىٰ باللّهِ حَسيباً»[٨٥].

ولم تكن المهمة سهلة ــ بالطبع ــ في مجتمع مقهور سكوني وحكومة طاغوتية وظروف بالغة الصعوبة. اذ كان علىٰ الإمام أن يكون بمثابة

العاصفة التي تعيد تحريك مستنقع مسقوف، وتحوّله الى طوفان طامٍ من خلال تثوير جوّانية الفرد والأُمة، وعن طريق إعادة ضخّ الدم المعافىٰ الىٰ العروق المتصلّبة والقلوب المجفّفة والأفكار التائهة. وكان المطلوب من الإمام ــ قدّس سرُّه ــ أن يعيد وصل ما انقطع بين الأُمّة وعقيدتها وتاريخها وذاكرتها وذاتها، أي أن يعيد بناء ماتهدّم بينها و بين معرفة دينها وأحكامه بما هي وثيقة الترابط بعضها ببعض، بحيث لو أُخِلّ بأمر واحد، فكأنما أُخِلّ بجميعها نظراً لكمال الترابط والتماسك فيما بينها، وذلك بالرغم من تمايزها في الدرجة داخل البنيان التوحيدي. كما كان مطلوباً منه ــ استطراداً ــ أن يعيد هدايتها الى السبيل المؤدية الىٰ الحقّ.. الىٰ الصراط المستقيم بالمعنىٰ الذي سبق ونوّهنا به.

رسالة كاملة متكاملة، إضطلع بها الإمام بدءاً من المعارف الأصلية والأُصول الخلقية، وصولاً الى الأحكام الفرعية العامة لجميع حركات الإنسان وسكناته، مُشَوِّراً بها العقول والنفوس والأفئدة المستغلَقة المستكينة، فلم يترك عبادة إلّا وأعاد توأمتها «بسياسات الإسلام وتدبيراته الإجتماعية»[٨٦]، وفاق ما أمر القرآن به، ولم يغفل حوافز أو دوافع باطنية إلّا أنضجها وحرّكها، ولم يدع بيِّنة في العقائد الحقة والأنظمة في طرق الجهاد والنضال و برامج العمل والحركة إلّا أعاد بعثها وشظاها، ولم يهمل حجّة الحق إلّا إستلّها وجادل فيها، ولم يعانِ تاريخ التوحيد من مأساة أو مصيبة أو عذابات إلّا توسّلها بهدف استنهاض الناس وإعادة تربيتهم ورصّهم في صف الحقيقة تحقيقاً للأهداف الإلٰهية وخدمة لقضايا الحرية والعدالة في العالم بأسره[٨٧].

إنّه التبليغ الشامل بالرسالة الشاملة القاضية بأَسْلَمَةِ كلّ شيءٍ في الوجود، و باستنهاض كلّ الفطرة الإنسانية وقابلياتها الأصيلة الىٰ الهدف الإلٰهي الأوحد، بالمشروع الحضاري الإنساني للإسلام.

لقد ثوَّر الإمام حقاً ثلاثين مليوناً على الأقل من شعب عدده خمسة وثلاثون مليوناً، كما يقول الشهيد مرتضى المطهري[٨٨]، لكنه في آن معاً كان يسعى الى تثوير مليار مسلم مشتَّتين في شتَّى أرجاء الأرض جاهداً في لمِّ شعثهم وتوحيدهم وتحريرهم أنفساً وأرضاً بالسعي الحثيث والجدِّي «لتشكيل الحكومة الإسلامية»[٨٩]. وكان لابدَّ من بداية ينتقل بها المشروع الحضاري الإلٰهي من جديد الى التربة الصالحة التي يستردُّ فيها الرمق والانتعاش. إلّا أنَّها بداية عملية: «علينا.. أن نبدأ عملنا بالنشاط الدعائي ونتقدَّم فيه»، وفاق قول الإمام الخميني[٩٠]، والبداية العملية تتجسَّد في نقل الأفكار تنفيذاً، «والأفكار تبدأ صغيرة، ثمَّ تكبر، ثمَّ يتجمَّع حولها الناس، ثمَّ تكتسب القوة، ثمَّ تأخذ بيدها زمام الأُمور»[٩١]، لتقوم حكومة هذه الأفكار[٩٢] وتتحقَّق نتائج قيامها المرجوِّ.

أولاً: قضية الإستنهاض وأهدافه

ثمَّة مسلَّمة مرجعية لا تغيب قطُّ عن فكر الإمام ومنهجه، فهي محورهما وموئلهما، إنَّها المشروع الحضاري للإسلام، المحتضن لرسالة التوحيد قضيةً، أمَّا أهدافاً فإنَّها تتلخَّص في هدف رئيس واحد هو: إقامة الحكومة الإسلامية.

لكنَّ هذا الهدف ليس كياناً ذاتياً منفصلاً ومعزولاً عن مجموعة أهداف أُخرىٰ تكاملية وأساسيَّة قوامها: إقامة العدل والقسط بين البشر، وتحقيق حريتهم واستقلالهم عن كلّ التبعيات الداخلية والخارجية. وبهذا المعنىٰ، ليست إقامة الحكومة الاسلامية غاية بذاتها بالعنوان الذي عرفته الثورات التاريخية: «الإستيلاء علىٰ السلطة»، بل هي وسيلة يُراد بها «تنفيذ أمراللّه وإقرار النظام العادل»[٩٣]، وفاق مانصت عليه الشريعة الإلٰهية، وكُلِّف بتحقيقه الأنبياء والرسل الذين ما اختارهم اللّه سبحانه إلّا لهدف حقيقي «هو إقامة العدل والقسط في الناس، وتنظيم حياتهم بموجب الموازين الشرعية. ولايتم ذلك إلّا بالحكومة التي تنفِّذ الأحكام. وهذه الحكومة كما أنها تتمثَّل في شخص النبي أو الرسول، فإنَّها تتمثَّل كذلك في الأئمَّة(ع) وفي الفقهاء العلماء المؤمنين العدول من بعدهم»، كما يقول الإمام الخميني[٩٤].

للتوحيد تقوم ــ إذن ــ هذه الحكومة، وتنفيذاً لنظامه الأصلح،

وامتثالاً لِمُنَزِّل هذا النظام، واذعاناً لأمره، وصوناً لشريعته من الإبعاد والتحريف فالانحراف، واستنقاذاً لمشروعه وأهله من الأخطار المحدقة بهم[٩٥]. وطالما كان الإمام يردّد الآية الكريمة: «**قُلْ إنّما أعِظُكُم بواحِدَةٍ أن تَقُومُوا لِلّهِ**»[٩٦][٩٧]. والقيام لله لايكون إلّا بالالتحام في صراطه، والإنضواء في عدل دولته، فهي الأمينة القمينة بتحقيق سعادتهم وأمنهم ورفاهيّتهم، وهي وحدها الدولة الشرعيّة[٩٨]. و بذلك لايتخذ السياسيُّ شرعيّته إلّا من الإلٰهي، كما كلُّ شيءٍ في الوجود.

ولأن الإسلام دين الفطرة الإنسانية، فسياسته إلٰهية، ودولته إلٰهية عالمية، وشرائعه الأخلاقية إلٰهية مقرَّرة «لصنع الإنسان»[٩٩]، وثورته إلٰهية؛ وهي، وإنْ كانت من أجل العالم الإسلامي بالدرجة الأُولىٰ، فإنها، بالدرجة الثانية، من أجل المحرومين والمستضعفين الذين يسعون من أجل التحرُّر، و بالتالي فهي من أجل الذين يريدون إدارة مجتمعهم بالاستناد الى القيم والضوابط الدينية الإلٰهية[١٠٠]. إنَّها ثورة إلٰهية شاملة لحكومة شاملة هي «حكومة المستضعفين، والحكومة العالمية للإمام المهدي صاحب الزمان»[١٠١]، بما هي المرحلة الأخيرة في مآل الوعود التكو ينية للرسالة.

تلك هي الأبعاد البنيانية في المشروع الحضاري للإسلام التي تبدأ ببداية الكون علىٰ خطِّ الرسالات السماو ية، وتنتهي بدولة صاحب العصر والزمان(عج)، «تسير بالناس في النور، وتلوِّح بيدها الىٰ القمة التي لايوجد مسلم لايراها، أو لايملك صورة محددة عنها. ممّا يجعل الفرد المسلم، في إطار التعبئة الحضارية الإسلامية، مطمئناً الىٰ طريقه، واثقاً بهدفه»[١٠٢] الكبير الذي هو هدف المسيرة «للجماعة البشرية الصالحة»[١٠٣].

عقيدة واحدة من لَدُن أحَدِيٍّ واحدٍ بمشروع إنساني واحد

وديناميي.

إن إقامة الدولة هي صلب مشروع الإسلام للعالم بكلِّ خصوصياته الحضارية بما هو آخر الأديان السماوية وأكملها، وحامل الأحكام الأكمل. وها هي حكومته الإسلامية؛ حكومة من نوع خاص ونظام خاص، لانموذج يشبهها في النماذج الحكومية وأصناف الدول التي عرفتها حضارة الطواغيت: «فهي ليست حكومة مطلقة يستبد فيها رئيس الدولة برأيه، عابثاً بأموال الناس ورقابهم.. وإنَّما هي حكومة دستورية، لابالمعنىٰ الدستوري المتعارف الذي يتمثل بالنظام البرلماني أو المجالس الشعبية، وإنَّما هي دستورية بمعنى أنَّ القائمين بالأمر فيها يتقيدون بمجموعة الشروط والقواعد المبيَّنة في القرآن والسنة، والتي تتمثل في وجوب مراعاة النظام الإسلامي وتطبيق أحكام الإسلام وقوانينه. ومن هنا كانت الحكومة الإسلامية هي حكومة القانون الإلٰهي»[١٠٤]. وإذا كانت الحكومات الدستورية ــ الملكية منها والجمهورية ــ تعتمد في تشريعها علىٰ ممثِّلي الشعب، أو ممثِّلي الملك، الذين يتولَّون وضع القوانين والشرائع، وفاق ما يسنُّه البشر للبشر، فإنَّ سلطة التشريع في حكومة الإسلام «تنحصر بالله عزوجل، وليس لأحد، أيّاً كان، أنْ يشرِّع، كما ليس لأحد أن يحكم بما لم يُنزِل الله به من سلطان»[١٠٥] و «حكم الله نافذ في جميع الناس»[١٠٦] **«فمَن اتَّبَعَ هُدايَ فلا يضلُّ وَلايَشْقى * ومَن أعرَضَ عَن ذِكري فإنَّ له معيشةً ضَنكاً ونَحشُرُه يَومَ القيامةِ أعمى»**[١٠٧].

إنَّ الإمام الخميني، وهو يؤكِّد هذه التميُّزات في الحكومة الإسلامية، باعتبار ما يجب أن يكون، فإنَّما يتمثل حقيقة النظام الإسلامي في الفهم القرآني، استناداً الىٰ أن هذا النظام عبارة عن «مجموعة من القوانين والنظم التي تطابق نظام الخلقة والتكوين»[١٠٨] بشموليته واحتوائه معيش الأفراد والجماعات. أي أنها تحاكي الثوابت في البشر بعيداً عن

أهوائهم ومصالحهم وغرائزهم وفردانيّتهم أو إرادة أكثرهم، «بل إنها تسلب حقّ التبديل والتغيير من أية سلطة، وتسلّم مقاليد الأُمور الىٰ النظام الكوني.. الىٰ إرادة الله»[١٠٩].

أما مايتغير و يتبدّل من مصالح الناس ــ تبعاً لتغير أحوالهم وظروفهم، واختلاف أمكنتهم وأزمنتهم ــ فإنّ الحكومة الإسلامية تنيطه «برأي الحاكم الشرعي الذي يشخّص الإحتياجات ضمن إطار المصلحة الزمنية وفي ضوء الأحكام الثابتة للشريعة. وليست هذه الأحكام المتغيرة من الدين والشريعة في شي ء»[١١٠].

إنّ تحقُّق الهدف الرئيس المتمثّل بنجاح الإستنهاض الإسلامي الشامل وقيام حكومة الإسلام بالثورة الإسلامية مؤدٍّ بالضرورة «الىٰ توحيد الأُمّة الإسلامية، وتحرير أراضيها من أيدي المستعمرين، وإسقاط الحكومات العميلة لهم... إنّ تشكيل الحكومة ــ إذن ــ يرمي الىٰ الاحتفاظ بوحدة المسلمين بعد تحقيقها»[١١١]، فلا مناصّ ــ عند الإمام ــ من قيام الدولة الإسلامية لتحقيق الوحدة الإسلامية والمحافظة عليها. ثم إنّ هذا التحقُّق يعني أيضاً انتصار منطق المظلومين علىٰ منطق الظالمين بإسقاط الظلم أينما كان، والغاء لوازمه وآثاره، وتحقيق العدالة بمفهومها الإلٰهي الشامل لشتّى أبعادها السياسية والحقوقية والإجتماعية والإنسانية. «فالأُمة الإسلامية تعتنق مبدأ يمكن تلخيصه في كلمتين: لا تَظلِمون (بفتح التاء) ولا تُظلَمون (بضم التاء)»، وفاق تعبير الإمام الخميني[١١٢]. ولطالما تردّدت أصداء هذا المبدأ في نصوصه ونداءاته: «يا مسلمي العالم.. و يا مستضعفي الأرض، هيا الىٰ النظام الذي جاء من قبل الله تعالى لتقدُّمكم وتكاملكم، ولسعادتكم في الدنيا والآخرة، ولإزالة الظلم، وحقن الدماء ونصرة المظلومين في العالم، ولأجل التربية والتعليم الإنسانيين، ولأجل حرية واستقلال أقطاركم.. ذلك النظام

الإلٰهي المسمّى بالنظام الإسلامي»[113].

كما أن تحقُّق ذلك الهدف الرئيس مقتضٍ ــ كذلك بالضرورة ــ تحقُّقاً لهدف شامل آخر آيل الىٰ الإنعتاق من كلّ التبعيات النفسية والدنيوية والشخصية، والىٰ انبعاث الحرية الأصيلة في الإنسان بمفهومها الإسلامي لا بمفهوم الحضارة النفعية القائلة بـ «السعادة الدنيوية» كمثلٍ أعلىٰ. إنَّها «الحرية الحقيقية» ــ بتعبير العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي[114]، لأنّها عتقٌ من قيود العبودية لغير الله، وانتزاع لتسلُّط النزوع الحيواني والانصياع الغريزي، لترفع الإنسان الىٰ دور المتحكّم في شهواته ونزعاته علىٰ مستوىٰ «كتاب الفرد». أمّا علىٰ مستوىٰ «كتاب العالم»، فهي تحرُّر الشعوب من الاستعمار والاستعباد، والغاء للتحكم الطبقي وقطع سبل وأسباب الاستكبار والتسلّط علىٰ الضعفاء، فلا إفراط ولا تفريط[115].

لكنَّ قيام الحكومة والغاء الرق الثقافي والسياسي والاقتصادي ليسا نهاية المطاف في مسيرة المشروع الحضاري الإسلامي، بل هما دائرة ابتدائية من دوائر الكدح الىٰ الله سبحانه، علىٰ طريق بناء الدولة الإسلامية العالمية وتحرير الدنيا بأسرها واقتلاع الظلم بكلّ أنواعه وتجلّياته. فالمسيرة كؤود وطويلة لاينقطع فيها الجهاد بركنيه. يقول الإمام: «مادام صوت لا إلٰه إلّا الله، محمَّد رسول الله لم يُطَبِّق العالم.. فالجهاد قائم»[116]، وذلك حتىٰ تحقيق السيادة الشاملة «للمبدأ». فالله هو الحاكم، وهو المشرِّع، وتتجلّىٰ حاكميته في شريعته وحاكمية من ينيبهم عن نفسه في الحاكمية[117]: **«إنِ الحُكم إلّا لِلّهِ أَمَرَ ألّا تعبُدوا إلّا إيّاه ذلكَ الدينُ القَيِّم ولكنَّ أكثرَ الناسِ لايَعلمونَ»**[118]، وبهذا المعنىٰ يمكن القول: إنَّ «الإسلام هو الحكومة بشؤونها، والأحكام هي قوانين الإسلام»[119] باعتبارها أوامر الله ونواهيه، ومتكفّلة بحفظ

سيادة القانون الإلٰهي، و بسط العدالة الإلٰهية بين الناس، وتحريرهم من ذلّ التبعيات إلّا للّه لاشريك له، فروح التعاليم الإسلامية هي التحرر والحرية[١٢٠]، وها هو التاريخ الإسلامي حافل بالأحداث والمظاهر المختزنة لهذه الروح بأعظم تجلّياتها، وقبل الثورة الفرنسية وتنويعات المبادئ التحررية المعاصرة والحديثة[١٢١].

إنّها التعبئة الشاملة حول مشروع الاستنهاض الجهادي المتمثّل في الإسلام وقيام حكومته الشرعية. فالجهاد عصب الحركة الارتقائية اللّولبية تكاملاً مع مبدأ الوجود، وهو دعامتها وأكثر ما يمثّل وحدتها.

ثانياً: إيمان الإمام بقضية الاستنهاض وأهدافها و يقينه بانتصارها

قبل أن يعزم الإمام كانت تربية الاستسلام حوله طاغية الىٰ درجة باتت حركة الانتفاض معها جنوناً ولا جدوىٰ منها. اليأس والسواد يرينان فوق كلِّ شيءٍ، ولغة المستحيل هي خطاب الأُمَّة الهامس والجاهر، وسياط العسف والقمع والتنكيل كانت قد نتفت نياط القلوب وأكلت لحم الأجساد التي تجرَّأت علىٰ اختراق الصمت المرين، أو احتجَّت عليه، أو تمرَّدت.. والعيون الكسيرة كانت تُفَلِّي العتمة بحثاً عن قبس ضياء فلا تجد.

من هذا المستحيل المتأصِّل الذي عرفه الإمام عن كثب، كانت صرخة الخلاص الكبير والتحدِّي الذي لا رجعة فيه: «يجب أن نُخرجَ من عقول الشعب كلمة (اللاممكن) ونُحِلَّ محلَّها كلمة(الممكن)»[١٢٢]. قالها الإمام دفعة واحدة مختصراً المشروع الاستنهاضي كله، وفاتحاً ثغرة في جدار الركون والهزيمة الداخلية.

من الأصعب بدأ الإمام لامن الأسهل، ومرة واحدة شهر سيفه ولم يغمده حتىٰ أسلم الروح.

ولم يكن متوقعاً أن يهزم فراعنة هذا الزمان بسرعة، وأن يرسي دعائم الحرية والحكومة الإسلامية بين ليلة وضحاها. كان يعرف أن إعلان الهجرة الى الله و بدء المسيرة الجهادية لا تدخل فيهما حسابات الزمان

والمكان، خاصة وأن المشروع الذي يشهره هو فوق مقتضيات الزمان والمكان، وتقديرات التكتيك السياسي، و يتطلّب جهوداً مستمرة وجليلة قد لا تؤتي أُكُلها بعد فترة قصيرة، فلا يطمعنَّ أحد بالقطاف السريع والوصول الىٰ الهدف البعيد بالجهد السهل والتضحية الآنية، لكنَّ الإمام كان مؤمناً بأن بُعد المسافة عن الهدف ينبغي أن يكون حافزاً جديداً للأُمة لتستحث الخطى وتسرِّعها مهما غلا الثمن وعظمت التضحيات. يقول رضوان اللّه تعالىٰ عليه: «نحن لانتوقع أن تؤتي تعليماتنا وجهودنا أُكُلها في زمن قصير، لأنَّ ترسيخ دعائم الحكومة الإسلامية يحتاج الىٰ وقت طويل وجهود مضنية... وإذا كان نشاطنا لن يؤتي ثماره إلّا في جيل غير جيلنا، فذلك لاينبغي أن يثبِّط عزائمنا»(١٢٣).

الىٰ خط الأنبياء والقادة التاريخيين كان يشدُّ الامام ركب الأُمَّة، مستنفراً فيها عبرة سنن التاريخ التي لا تقفز فيها الأُمم الىٰ التغيير الثوري قفزاً آلياً، بل تواكب حركة موج جماهيرها الوئيدة التي تكتسح في طريقها العثرات والأعداء، لكنها تصل في النهاية الىٰ أهدافها وصولاً واثقاً ونهائياً. فحركة الأُمَّة ظلٌّ من ظلال العقيدة التي تعتنقها. والعقيدة لا تتقدم إلّا بخطىٰ الواثق الثابت، والعازم الحازم، تماماً كما سيرة الأنبياء والرسل: «بسبب ما اتسم به الأنبياء والقادة من عزم وثبات وحزم، كانت العقيدة تتقدم بخطىٰ ثابتة»(١٢٤). هكذا قال الإمام، لأنَّه كان علىٰ يقين بأن الأُمَّة التي تريد فتعزم، قادرة علىٰ تحقيق إرادتها. من هنا كان قوله أيضاً: «كلُّ ماينقصنا هو (عصا موسى) وسيف علي بن أبي طالب وعزيمتها الجبّارة، وإذا عزمنا علىٰ إقامة حكم إسلامي، فسنحصل علىٰ عصا موسى وسيف علي بن أبي طالب أيضاً»(١٢٥).

إنَّ شرط التحقُّق هو الإرادة والعزم، والتبليغ بهما، والدعوة اليهما. ومادام الهدف إلٰهياً فسنة التاريخ كفيلة بتثبيت قانون النصر المحتَّم. يقول الإمام: «إذا كان القيام إلٰهياً، وكانت النهضة للّه، فإنَّها منتصرة»[١٢٦]. وكيف لهذه العقيدة أن لا تنتصر، وفي قلوب وعقول ونفوس حامليها سلاح الإيمان الذي لايضاهيه سلاح: «إن هذه العقيدة الإيمانية هي المنتصرة.. فلا سلاح في العالم يقابل سلاح: (اللّه أكبر)»[١٢٧]. وها هو الإمام لاينفكُّ عن استنفار دعاته وطلبته وحضِّهم علىٰ تبليغ الإسلام للجميع «فهو للجميع، وسترون أنه سيقودهم الىٰ الطريق السليم، و ينير لهم السبيل»[١٢٨] ــ يقول لهم ــ «وثقوا بأن وراء ذلك نتائج حسنة وترحيباً شديداً سيُستقبل به الإسلام»[١٢٩].

وهكذا نلاحظ أن إيمان الإمام بأهداف نهضته، وثقته بتحقيقها وانتصارها كانا إيماناً يقينياً وثقة قاطعة. ولطالما ردَّد أمام الأُمة وأمام المبلِّغين وطلبة العلوم الدينية: «إنكم ستصلون الىٰ أهدافكم يقيناً»[١٣٠]. «وأنا على يقين من أنكم قادرون علىٰ إدارة دفة الحكم عند تقويض أُسس الظلم والجور والعدوان»[١٣١].

هذا الإيمان المطلق بالقدرة علىٰ نيل الأهداف، بالجهاد والمجاهدة والعمل، لم يكتفِ به الإمام لنفسه؛ يتحصَّن به و يتشرنق فيه ــ كما النخبويون الفردانيّون ــ بل أراد، وعمل بلا هوادة، أن يكون به قدوة ونموذجاً بحيث ينتقل به، في نفسه وجهاده وتعاليمه، الىٰ نفوس طلّابه ومريديه في الحوزات العلمية، وعَبْرهم، الىٰ الأُمة كلّها. فكان رائداً في فعل الإيمان هذا، وكان النموذج الحضاري للمبلِّغ المسلم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وفاق اقتضاء التكليف الشرعي للمسلم فرضاً عينياً ابتدائياً. يقول الإمام علي بن أبي طالب(ع): «فبدأ اللّه بالأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها إذا أُدِّيت وأُقيمت، استقامت الفرائض كلُّها هيِّنها وصعبها، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء الى الإسلام..»[١٣٢]. و يعلِّق الإمام الخميني على هذا الخطاب الإمامي قائلاً: «ولهذه العظائم شرَّع الإسلام وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا لصغار الأُمور فقط، ممّا نرى ونسمع يومياً، وإن وجب إنكارها والردع عنها»[١٣٣].

إنَّ إيماناً من هذا القبيل لايكون إلّا فيضاً من الإيمان المبدئي بالله سبحانه، ومعرفة به، وتصديقاً، وتوحيداً، وإخلاصاً له[١٣٤]. فمن الله يبدأ الإمام، كما بدأ الأنبياء والأئمة من قبل، واليه يصبو و يكدح، وله يكافح ويجاهد، ولمشروعه في الأرض يدعو و ينهض، ومن فيضه ينهل و يبذل، وفي توفيقه ووعده لايرقى إليه شكٌّ أو يحطُّ من عزيمته وهن: «كونوا جنوداً لله، ترفرف ألوية الإسلام في كلِّ مكان على أيديكم»[١٣٥].

وليس هذا الإيمان بالله منفصلاً البتة عن المشروع الإلٰهي ذاته في الأرض، لكنه القلب النابض به، يقيناً بصلاحه المطلق وخيره للبشر كافَّة، واقتناعاً بثباته ولانهائيته بما هو مشروع هداية للحياة وما بعد الحياة، الى درجة أن الإمام قد ذاب في المشروع الإلٰهي وانصهر فيه وامتزج، حتىٰ بات كلٌّ منهما مؤدياً للآخر، وناطقاً به، وكأنهما من طبيعة واحدة، و يتحركان في حركة موحدة بيد القدرة الإلٰهية وتقدير المشيئة الإلٰهية، فهما يتكلَّمان لغة واحدة و يعبِّران عن ذات الحقائق الى مستوىٰ التوحُّد فيها. إن انشيال الإمام في الله الى هذا الحدّ، والوفاء له، والانعتاق اليه سبحانه، تشكِّل حقيقة الإخلاص لربوبيته وتوحيده، متوجِّهاً بكلية ذاته وأفعاله لله وحده على أساس من الولاء الكلي الإلٰهي[١٣٦] ولتجلِّيات آياته، ومنها دليل هدايته للناس في الدنيا

والآخرة وتعاليمه وقوانينه، والمسؤوليات التي أناطها بمخلوقيه، حتى إذا وصلوا الى هذا المستوىٰ السامي من الإذعان له والالتزام به لم يكن لهم إلّا ناصراً ومسدداً ومُعيناً وهادياً. وها هو الإمام الخميني يقول للشهيد مرتضىٰ المطهري في باريس، قبيل انتصار الثورة: (لا تتصوَّر أننا نحن الذين نعمل هذا ــ ونقوم بالثورة ــ إنني أرىٰ وألمس يد الله بوضوح، إنَّ الذي يشعر بقوة الله وعنايته، و يسير في سبيل الله، فإن الله يضيف الى قوَّته النصر تصديقاً لقوله تعالى: «**إنْ تَنصُرُوا اللّهَ يَنصُرْكُم و يثبِّتْ أقدامَكُم**»[١٣٧]. وتصديقاً لما يتحدث به القرآن عن أصحاب الكهف، إذ يقول تعالى: «**إنّهُم فتيةٌ آمنُوا بربِّهم وزِدناهُم هُدىً**»[١٣٨]، إنهم قاموا للّه، والله يربط علىٰ قلوبهم: «**ورَبَطنا علىٰ قُلوبِهِم إذ قامُوا فَقالُوا ربُّنا ربّ السماواتِ والأرض...**»[١٣٩][١٤٠]. ثمَّ يعلِّق المطهري علىٰ كلام الإمام قائلاً: «إنني أرىٰ هذه الهداية والتأييد الإلٰهي بوضوح في هذا الرجل.. إنه قام للّه، فمنحه الله تعالىٰ قلباً قوياً لايأتيه الخوف ولايتزعزع أبداً.. هذا الرجل العظيم الذي ينشر في النهار تلك البيانات الثائرة اللّاهبة، هو الذي يناجي ربَّه في الأسحار ساعة واحدة علىٰ الأقل، وتُسكَبُ دموعه بطريقة يصعب تصديقها.. إنَّ هذا الرجل نموذج حقيقي ممَّن سار على خطىٰ علي عليه السلام»[١٤١].

بهذه العبودية الثورية تتوحد يدا العبد والمعبود و يصبح العبد إلٰهياً، والكلمة إلٰهية، والفعل إلٰهياً، والأُمة إلٰهية، فينتسخ الضعف الىٰ قدرة، والظلم الىٰ شجاعة، والنخوة الىٰ حركة، والدم الىٰ عبادة. يقول الإمام في هذا السياق: «في هذا الوقت خرجت يد القدرة الإلٰهية من كُمِّ العدالة، وتبلورت في شعار «الله أكبر» وتحوّل شعب إيران من الضعف الىٰ القدرة.. وموجة الجماهير الثائرة من الناس الإلٰهيين الذين اعتبروا السعادة في الشهادة، وتضحية الدماء أكبر عبادة.. دكُّوا جدار الشياطين

وعرش وتاج ٢٥٠٠ عام من الظلم والإفتراس»(١٤٢) .. «إنَّ الذي أعطانا القدرة، وأعطانا كلَّ شيءٍ، وأسقط جميع القوىٰ.. هوالله.. الله مبدأ الموضوع»(١٤٣)، تتدخل قوته ــ تبارك وتعالىٰ ــ لتنصر عباده الإلٰهيين وتظهرهم علىٰ أعدائهم خارج مجرىٰ العادة والمألوف من نواميس الطبيعة وتوازنات قوىٰ البشر «فبالحريِّ أن يُنسَبَ ماوقع.. بأيدي المؤمنين.. إليه سبحانه دون المؤمنين»(١٤٤)، وذلك تصديقاً لقوله تعالىٰ: «**فَلَم تَقتُلُوهم ولكنَّ اللّهَ قَتَلَهم ومارَميتَ إذْ رميتَ ولكنَّ الله رمىٰ**»(١٤٥).

لقد حمل الإمام الخميني قضايا المشروع الحضاري للإسلام وأهدافه، الى هذا المستوىٰ من القول واليقين والإيمان والفعل والثقة المؤكَّدة بالانتصار مهما طال الزمان، فكان نموذج الدعوة والداعية، والبلاغ والمبلِّغ المبينَين، والنموذج القدوة لأُولئك العلماء الربّانيين الذين أشار إليهم الإمام ابن أبي طالب(ع) بقوله: «أُولئك ــ والله ــ الأقلّون عدداً، والأعظمون عندالله قدراً، يحفظ الله بهم حججه و بيِّناته، حتّىٰ يودِعوها نظراءهم، و يزرعوها في قلوب أشباههم. هجم بهم العلم علىٰ حقيقة البصيرة، و باشروا روح اليقين، واستلانوا ما اسْتَعْوَرَهُ المُترفون، وَأَنِسُوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلِّ الأعلىٰ، أُولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة الى دينه. آه.. آه شوقاً الىٰ رؤيتهم..»(١٤٦)

ثالثاً: المُسْتَنْهَضون

المشروع الاسلامي وملامح الهجر والجهل:

إذا كان إيمان الإمام بمصداقية وعقيدة المشروع الذي استنقذه، وبحتمية تحقيق أهدافه، وصوابية الدعوة إليه، جزءاً لايتجزأ من إيمانه المطلق بمصدر المشروع ومبدئه وأصله، و يقينه بخيريته المطلقة، فإنَّ ذلك الإيمان صادر ـ أيضاً ـ عن إيمان بأهل هذا المشروع وعشيرته وقابليات الأُمة التي تحتضنه، بما هي مجتمع إنساني متحرك متَّحد فكراً وعقيدة ومذهباً وطريقاً، لا علىٰ مستوىٰ الفكر فحسب، بل علىٰ المستوىٰ العملي أيضاً. فأفراد الأُمة الواحدة ـ من أيِّ لون أو دم أو أرض أو عرق كانوا ـ يفكِّرون بطريقة واحدة، ولهم إيمان مشترك واحد، و يتحركون باتجاه مثل أعلىٰ واحد يكملون فيه و يتكاملون، ويخضعون لقيادة سياسية واجتماعية واحدة»[١٤٧][١٤٨] . والأُمَّة بهذا المعنىٰ هي الأُمة الإسلامية. والملفت أن الإمام قلَّما استخدم هذا المصطلح في كتاباته وخطبه ومحاضراته، غير أنه استخدم ـ بكثافة ملحوظة ـ مصطلحات متعددة مثل: الناس، المسلمون، المستضعفون، المظلومون، المحرومون، الجماهير، أهل السوق والشارع والعامل والفلّاح والطالب والجميع.. الخ، وذلك بذات دلالات مصطلح «الأُمة» الذي اعتبره السيد محمدباقر الصدر مرادفاً لمصطلح «المجتمع»[١٤٩] ، إلّا أن الإمام في

استخدامه بعض هذه المصطلحات كان يتجاوز ـ غالباً ـ الدلالات التي يحتملها مصطلح الأُمّة الإسلامية/المجتمع الإسلامي بما هو مصطلح مخصوص بالمسلمين، ليضيف إليها بعداً أشمل ودلالة أعم لتضم الإنسانية بأجمعها وخاصة في مصطلحات مثل: «المستضعفون»، «المظلومون»، «المحرومون»، «الناس»، وذلك وفاق مايقتضيه الموضوع ومقدماته في الشأن الذي يخوض فيه.

حيال هذا التعدد المصطلحي في نصوص الإمام لايلمس الباحث أيَّ تعثر أو تداخل أو غموض في المفاهيم يمكن للتعدُّد أن يقود إليها، كماهي الحال عند كثير من المفكِّرين المرموقين. فحركة فكر الإمام تبقىٰ على الدوام منضبطة في سياق ثوابت المشروع الإسلامي الذي يضطلع بحمله، ومنبثقه من نظرته الكونية التوحيدية، بما هو هادٍ الىٰ أهداف دينامية متعددة تلتقي في هدف واحد كلّي، وبما هو محدّد لمنهج تحقيقها[١٥٠]. فالهدف الكلّي هو إقامة حكم الله في الأرض بنموذجه الحضاري الإلٰهي ولوازمه وأحكامه العادلة[١٥١] باعتبارها بسطاً للعدالة الإلٰهية بين الناس[١٥٢] وإجلالاً للنظام الإلٰهي في العالم[١٥٣] «فقد جاء الإسلام ليوحِّد شعوب العالم تحت اسم الأُمة الإسلامية»[١٥٤] بتعبير الإمام.

بهذا الهدف الشمولي الإنساني أعاد الإمام بعث المشروع الحضاري الإسلامي، فمن لوازم عقيدة التوحيد إيمان كلِّ مسلم «بأن الدين الإسلامي سيسود العالم.. وسيمحو آثار الكفر والاستكبار علىٰ وجه الأرض»[١٥٥]. إلّا أن هذا الهدف الاستراتيجي غير متحقق إلّا انطلاقاً من تحقيق هدف مركزي دينامي يتمثَّل في قيام حكومة إسلامية تمهيدية حيث يمكن للمسلمين أن يقيموها، وحيث تتوفر المناخات والظروف الآيلة إليها. فكان أول العقد في إيران، إذ اندلعت الثورة

الإسلامية فيها على يدي الإمام الخميني نفسه بعد نضوج مقدماتها التكاملية وجهاد استمر متواصلاً جاداً على مدى ماينا هز الربع قرن من الزمن. لكنَّ هذه الثورة لم تكن إلّا الخطوة الأُولى في المشروع الكبير بما هي ثورة من أجل العالم الإسلامي ومن أجل المستضعفين في العالم في الوقت نفسه.

يقول الامام: «إن هذه الثورة قد قامت بالدرجة الأُولى من أجل العالم الإسلامي، وبالدرجة الثانية من أجل المحرومين والمستضعفين الذين يسعون من أجل تحريرهم.. وبهذا المعنى فان الثورة الإسلامية الإيرانية ليست فريدة ومقتصرة على نفسها، بل هي بداية ثورات تماثلها في الهوية والميزات»[١٥٦].

كان لابدَّ للثورة/النموذج من أن تنبعث من مكان جغرافي، شاء الله أن يكون إيران (بعدما نضجت فيها مقومات الانتفاض وأسبابه)، لكنها انطلاقة الى كلِّ الأمكنة والى كلِّ الشعوب بهدف وحدوي توحيدي هو «تثبيت واستقرار القيم الإسلامية وحدها»[١٥٧]. ولم يفارق خطاب الإمام التبليغي هذه المعادلة قط. فَلَحْظُ وحدة المشروع مرتبط عنده دائماً بلحظ وحدة العالم والإنسان، والمسلمون والمستضعفون في الأرض هم المكلَّفون، وهم المعنيون بالتحرك والسعي لإنفاذ حكم الله ونظامه، وما المشروع الإلهي إلّا لاستنهاضهم وتحريرهم من كل العبوديات، فهو الهادي المؤدّي الى الحقِّ والعدالة والقسط وخير الإنسانية وهم المهتدون، ودور المبلِّغين والقادة هو إنجاز الإرتباط المعرفي بين مشروع الهداية والمهتدين العتيدين.

وليس المقصود هنا بأن مشكلة المسلمين والمستضعفين هي مشكلة معرفية مجرَّدة، ومحكومة بمتصورات الذهن والثقافة النظرية البحتة، وهي قضية بالغة الأهمية من غيرشكٍّ،بل هي معرفية بما يعنيه الإسلام بالمعرفة

غير المنفصلة فيه أبداً عن الفعل والتحقُّق العملي كما سبق ونوَّهنا به تكراراً.

المعرفة الراشدة هي المقصودة، و بالمعنىٰ الذي طالما أشار إليه الشهيد المطهري، فالعلم والمعرفة شرط أول لتوفير الرشد بما هو شأن مكتسب[١٥٨] تتحول فيه المعرفة الىٰ قدرة وكفاية وممارسة سلوكية ومسؤوليات مركَّبة[١٥٩] مرتبطة بذات الهدف اللّامتناهي[١٦٠]، ومنه تستمد وجودها ومثلها وأهدافها[١٦١]. ومايعاني منه المسلمون في كلِّ مكان، من جهلهم بدينهم/مشروعهم، ومن هجرهم لتعاليمه وانحرافهم عن منهجه وأهدافه هو الأصل فيما يشكون منه، استتباعاً وقهراً، وتجزئة لأرضهم، وانتهاكاً لحرياتهم، وتشوُّهاً في ثقافتهم، وفقداناً لذاكرتهم، والغاءً أو إفساداً لقيمهم. لقد شبَّه الإمام الخميني ــ قدّس سرُّه ــ عصر ماقبل النهضة الإسلامية بـ «العصر الجاهلي»[١٦٢] لما كان يسوده من ظلم واضطهاد وانحطاط، مما أورث الثورة الإسلامية «بلداً غارقاً في التبعية، خرباً ومتخلِّفاً في جميع المجالات، والنظام البهلوي العميل كان قد جر هذا البلد الىٰ السقوط مدة خمسين عاماً وألقىٰ خيراته في جيوب الأجانب، وخصَّص الباقي لنفسه وأتباعه وأجرائه»[١٦٣]. ولم تكن مجتمعات الأُمة الإسلامية الأُخرىٰ أحسن حالاً من المجتمع الإيراني، إذ كان يجمع بينها شبه تطابق في العذابات والمشاكل والتخلُّف وضياع الإنتماء والهوية، فتوحَّدت الآلام وخيبات اليأس.

من هنا، كان يقين الإمام في أن التجربة الثورية لإيران نموذج للعبرة والاعتبار لدىٰ سائر المسلمين «لأن اشتراك المجتمع الإيراني مع سائر المجتمعات الإسلامية لم يكن في التاريخ والثقافة، أو المشاكل الناتجة عن الاستعمار وأمثاله فحسب، بل هو ناتج كذلك عن التشابه في الواقعيات الإجتماعية الحية، والقوىٰ الموجودة بالقوة والفعل»[١٦٤].

وعندما تعاني تلك المجتمعات من ذات الداء، فلابدّ أن تكون المعالجة واحدة. ومن الطبيعي أن لايجد الإمام المسلم سبيلاً للخلاص إلّا بما صنع الخلاص بابتداء رسالات الرسل والأنبياء المتنزِّلة من مبدأ الخلاص ذاته.

صحيح أن الإستعمار الغربي وفعل التجزئة ونتائجهما مسؤولة عن مصائب العالم الإسلامي، لكن تحميلهما ــ وحدهما ــ هذاالعبءينظر الىٰ النتائج، ولايحاكم الأسباب التي تتلخص كلُّها في تخلّي المسلمين عن مشروعهم الحضاري العالمي المتجلِّي في الإسلام، وانحرافهم عن خطِّ مساره الربّاني، وحيادهم عن التمسُّك بمنهجه وتعاليمه وتشريعاته، فتاهوا عن أنفسهم وأضاعوها، حتىٰ إذا قدم الإستعمار ألفاهم ينتظرونه علىٰ قارعة الطريق أكثرهم أسرىٰ مستسلمون بعد أن تداعوا من الداخل. ولم تنجح في إعاقة هذه الكبوة التي طال بها الزمن، محاولات الكثير من الفقهاء والقادة والمصلحين المخلصين لأسباب مختلفة لامجال للخوض فيها في هذا المقام.

أمّا الاسلام فكان قابعاً في الخزائن والمكتبات وقد جرىٰ إقفاله عن معتنقيه حتىٰ بات «كثيرون من الناس ينظرون الىٰ الإسلام علىٰ أنه بضعة مسائل شرعية» * ، وارتجت أبواب المساجد علىٰ مناسبات قدَّسها العامَّة لاقتصار معرفتهم بها علىٰ «تسطيح» تاريخي أو مذهبي بحيث فقدت جوهرها وأصالتها وتحوَّلت الى طقوس كهنوتية مُصَنَّمةٍ تتغذىٰ من نضوبها وجفافها الأرواح التائهة والنفوس اللّائذة بالمستحيل: «واللّه يعلم أن محبّي الإسلام كثير، ولكنَّهم لأكثر أحكامه جاهلون» (١٦٥). يقول الإمام: لقد سجنت هذه المحبَّة، الصادقة بلاريب، روح الإسلام في اسار التقليد والجاهلية حتىٰ أضحىٰ غريباً مجهولاً. يقول الإمام في هذا السياق: «الإسلام اليوم غريب ليس هناك من يعرفه، فعليكم أن

تقرّبوه للناس وتوضحوه لهم، حتىٰ يفهم الناس الإسلام علىٰ وجهه الصحيح»[١٦٦].

لقد خضع الناس ــ أو أُخضِعُوا ــ لعمليات غسل ذاكرتهم، وتدجين أفكارهم، لتأتلف والقيم المستوردة البديلة، الهادفة الىٰ «تحريف وتشويه الإسلام»[١٦٧] حتىٰ «انتهىٰ الىٰ هذه النهاية المفجعة»[١٦٨] بعد أن تمَّ اقتلاعه من تربته، أو صدُّ تربته عنه، بحيث غدا الناس ــ كما يقرّر الإمام ــ: «يجهلون الإسلام ولايكادون يفقهون عنه شيئاً»[١٦٩]، وصدَّقوا مقولة الفصل بين الدين والحياة، القاضية بإبعاد رجال الدين عن السياسة والشؤون العامة. و بذلك نجحت «إعادة التثقيف المضادَّة» في إعادة تربية الناس تربية مزدوجة علىٰ مستويي القضية: المسلمين والعلماء/رجال الدين «بحيث اعتقد كثير من رجال الدين أنفسهم بأنه لاعلاقة لهم بالسياسة.. وإذا تدخل أحد العلماء في أمر يهمُّ المجتمع و يتعلّق بمشاكل الناس، أو أراد أن يقاوم حكومة فاسدة، كان سائر العلماء الذين اعتقدوا بفصل الدين عن السياسة يطردونه، و يعتبرونه عالماً سياسياً»[١٧٠]. و بذلك تقزَّمت واجبات العالم الديني وانكمشت لتصبح مقتصرة علىٰ «الذهاب الىٰ المسجد، وإذا صعد المنبر في المسجد، فما عليه إلّا أن يتحدَّث في الأُمور الخلقية..»[١٧١].

أمّا علىٰ مستوىٰ الناس، فقد جرىٰ إخضاعهم لإعادة تربية مكمِّلَة لما أُصيب به علماء الدين من إعاقة وشلل. وكان من نتائج ذلك «أن الناس كانوا يميلون الىٰ مثل أُولئك العلماء.. فالعالم الديني ــ من وجهة نظرهم ــ من لايتدخل في السياسة أبداً لأنَّه لايعرف هذه الأُمور، ويجب عليه أن لايعرف..»[١٧٢].

هذا الإنحراف التربوي والثقافي كان شاملاً العالم الاسلامي كلَّه، وتحول الإسلام الىٰ «نصرانية» سياسية وأيديولوجية وتحوَّل أكثر رجال

الدين المسلمين الىٰ كهنة يضعون العمائم السود والبيض. وقد أدرك الإمام الخميني هذه الحقيقة المرة بوضوح شديد الىٰ درجة جعلته يصنف إسقاطها في أوّليات ماينبغي إسقاطه بعد استلال المشروع الحضاري للإسلام من غمده، ممّا طبع المسيرة الخمينية بجهادين جوّانيين تغييريين:

جهاد علىٰ مستوى الناس المضلّين الضالّين،

وجهاد مكمِّل علىٰ مستوى علماء الدين المقتلَعين من جذورهم والمغتربين عن دورهم الحقيقي.

ولم يكن الإمام مغالياً في وعيه لخطورة الظاهرة، وضرورة التصدي الفوري لها، لأنها وحدها ــ بمضاعفاتها ومستتبعاتها ــ قمينة بنحر المشروع الإسلامي، وإسقاطه في واحدة من مقومات بنيانه الأساسية. إذ عندما يكون الإسلام ديناً «عبادته سياسة، وسياسته عبادة»[١٧٣] ــ وفاق الحقيقة الإسلامية التي رفعها الإمام «شعاراً» من شعاراته ــ بحيث تصبح فيه السياسة معادلة للعبادة، بل هي عبادة من عباداته، عندما يكون الإسلام كذلك، يمكن لنا أن ندرك حجم الآفة التي جرىٰ ترسيخها في ذاكرة الأُمَّة بفصل الدين عن السياسة، و بالتالي باستبعاد علماء الدين عن السياسة طائعين أو مختارين، أو تحييدهم عنها في أبسط الأحوال.

كان علىٰ الإمام ــ إذن ــ أن يمارس فعل الإستنهاض علىٰ جبهات ثلاث: جبهة المسلمين في داخل إيران وخارجها، وجبهة علماء الدين، وجبهة المستضعفين في الأرض.. هذه الجبهات الثلاث هي ــ في واقع الأمر ــ جبهة كبرىٰ متكاملة تتوحد فيها عوامل التخلُّف والتبعية والانهيار الحضاري والتهافت القِيَمي التي تمعن بواسطتها حضارة الكفر والطاغوت تخريباً في روح الأُمة الإسلامية ورسالتها وحضارتها، وتصادر

كنوز الأرض وجهود الشعوب، وتسترقُّ إراداتها والنفوس، وتشعل الدنيا حروباً واضطراباً.

أ ــ جبهة الإستنهاض الأُولىٰ: صناعة الإنسان المسلم وانتظام الأُمة في مشروعها:

علىٰ امتداد جبهة التفريط والجهل والتسلُّط والإستسلام المثلَّثة الرؤوس هذه، طرح الإمام الخميني مشروع الخلاص والحرية بالإسلام، وإقامة الحكومة الإسلامية في إيران معلناً استئناف المسيرة التي طال توقُّفها مفتتحاً بإعادة تربية الأُمة وتعليمها ماجهلته عن ذاتها وتاريخها ونظام قيمها وحياتها الإلٰهي، واصلاً ما انقطع من أواصر بفكرها وكيانها، مبلِّغاً ومعبِّئاً ومفكِّراً فقيهاً وقائداً ومربِّياً. وها هو يردِّد: «كان الإسلام مهجوراً في العصور التي تلت صدر الإسلام، و ينبغي اليوم أن تتضافر جهود جميع المسلمين.. علىٰ طريق تعريف الإسلام، كي يسطع وجهه المشرق الوضَّاء كسطوع الشمس»[١٧٤].

لكن إعادة تربية الأُمَّة تترافق ــ عنده ــ مع إعادة تربية الإنسان فكراً وروحاً، مقدِّماً القرآن دليلاً: «القرآن كتاب تربية الإنسان.. والإسلام يصنع الإنسان، فإنسان واحد يستطيع أن يربِّي أُمة.. وفاسد واحد يستطيع أن يفسد أُمة»[١٧٥] ــ قال الإمام ــ كذلك أيضاً كانت «جميع الكتب السماوية التي نزلت علىٰ الأنبياء،.. من أجل أن يكون هذا الموجود أحسن الموجودات وأفضل الخلائق كلّها بإشراف من التربية والتعليم الإلٰهيَّين. فهو لو ركب رأسه، أو تحرَّك خلافاً لمسيره الطبيعي، فسيجرّ العالم كلَّه الىٰ الفناء.. وإذا أصبح هذا الموجود ذو الساقين موضع عناية وتربية، تحققت جميع حوائج البشر في الدنيا والآخرة.. من هنا فإن جميع الأُمور في الإسلام هي مقدمة لصنع الإنسان.. ولذا كان جميع

الأنبياء معلّمين، وجميع البشر طلبة.. فالعالم كلُّه جامعة واحدة، وجميع البشر طلبة»[١٧٦].

في مدىٰ هذا الإشراق الرسالي لا تكون تربية الإنسان إلّا مقاربة لتعليمه الىٰ درجة الإلتصاق والترادف حتىٰ «يكون التعليم مرادفاً للتربية»[١٧٧]، فلا ينفكُّأحدهما عن الآخر، ولاينفك كلاهما عن هدفيهما العام وهو توحيداللّه سبحانه وتعالىٰ، و بذلك وصفهما الإمام بـ «الإلهيَّين» في الشاهد السابق، لأن التبصُّر في غايتيهما هو المعيار للحكم لهما أو عليهما. وإذا كان العلم معنيّاً بالفكر فإن التربية ضابطة ومقوِّمة له في المسار المطلوب حتىٰ لاينكسر تواصله بغايته الإلٰهية، وحتىٰ يغدو التأديب الإلٰهي هيئة التوحيد في الفكر والفعل[١٧٨]، وتتمّ عملية صناعة الإنسان الإلٰهي الذي جاهد له الإمام بالإسلام: «**فَبَشِّر عِبادِ* الذينَ يَستَمِعُونَ القَولَ فيتَّبعونَ أَحسَنَهُ أُولٰئكَ الذينَ هَداهُمُ اللّهُ وأُولٰئكَ هم أُولُوا الألباب**»[١٧٩].

عبر صناعة الإنسان، وفي موازاتها، يتوجَّه الإمام الىٰ إعادة تربية وتعليم الأُمة وتوعيتها، فيقول: «علينا.. أن نسعىٰ لوضع حجر الأساس للدولة الإسلامية الشرعية، فندعو ونبثُّ الأفكار، ونصدر تعليماتنا، ونكسب المساندين والمؤيدين لنا، ونوجِد أمواجاً من التوجيه الواعي والإرشاد المنسَّق للجماهير ليحصل ردُّ فعل جماعي تكون علىٰ أثره جموع المسلمين الواعية المتمسكة بدينها علىٰ أتمِّ الاستعداد للنهوض بأعباء تشكيل الحكومة الإسلامية»[١٨٠].

في نطاق خطّة العمل المُحكمة هذه، أهدافاً ووسائل، أكَّد الإمام أن القوة «لم تكن.. حليفة الأفكار من أوّل يوم. وفي هذا كلِّه ينبغي أن نتخذ من الشعب ــ بكلِّ قواعده ــ قاعدة رصينة يرتكز عليها و يركن إليها، مع العمل الدائب علىٰ التوعية الجماهيرية من أجل فضح خطط

الإجرام وكشف الانحراف.. و يتمُّ تدريجياً استقطاب الجماهير، كل الجماهير، و يتمُّ الوصول بعدها الىٰ الهدف»[١٨١]، وتتحرَّر الأفكار والقلوب من كلِّ التبعيات[١٨٢].

والجدير بالإلفات في هذا المجال، أن المتتبع لخطاب الإمام التبليغي العائد الىٰ مرحلة ماقبل الثورة الإسلامية في إيران، يتبيَّن أن الإمام، وهو يتوجَّه بكلِّية حركته وفكره وجهاده الىٰ الهدف المركزي المتجسِّد في إقامة الحكومة الإسلامية في إيران، فإن هاجسه ظلَّ منصرفاً أيضاً الىٰ التبليغ بالمشروع الإسلامي الىٰ المسلمين قاطبة. فكان هذا الهاجس ــ دائماً ــ أصل بياناته وخطبه، بحيث لايخلو بيان من بياناته، أو درس من دروسه، أو خطاب من خطبه منه: «قوموا واحملوا القرآن.. واخضعوا لأمرالله لتعيدوا مجد الإسلام العزيز وعظمته.. قوموالله قياماً فردياً لمواجهة جنود الشيطان في باطنكم، وقياماً جماعياً أمام القوىٰ الشيطانية»[١٨٣]. و يقول في محاضرة من محاضراته أمام طلبة العلوم الدينية في النجف الأشرف: «عليكم أن تبذلوا قصارىٰ جهودكم في إيصال مفاهيم الإسلام وأنظمته الىٰ الناس عامة»[١٨٤]... «إجعلوا تعاليم الدين الإسلامي في متناول الجميع فهو للجميع»[١٨٥]، و «عليكم أن تعرِّفوا العالم كلَّه بذلك»[١٨٦]، «خطِّطوا للحكومة الإسلامية وتقدَّموا في خططكم»[١٨٧].

هذا الإنضواء الكفاحي، علىٰ صعيد حركة التبليغ والدعوة، كما نلاحظ، يصل عند الإمام الىٰ مستوى الذوبان في المشروع الإسلامي، فلايتنفس إلّا من خلاله، منفتحاً به علىٰ أصحاب الحق، يلاحقهم الىٰ أقصىٰ مكان في الأرض مرشداً وشاهداً غير مضطرب ولا متعثِّر. فإيمانه بهم يعدل إيمانه بشرعية مشروعهم الذي هو مشروعه في كلِّ حال. ولايستثني في دعوته الىٰ الإسلام أحداً من الأُمَّة. وهو، وإن خاطبها

بكلّيتها أفقياً، فلم يَفُتْهُ التوجُّه أيضاً الىٰ شتّىٰ شرائحها العمودية من أهل الشارع الىٰ الحكّام. فلا أحد في الأُمّة محسوب خارج نطاق الرسالة: «انفخوا في أهل السوق والشارع، وفي العامل والفلّاح والجامعي، روح الجهاد، فيهبّ الجميع الىٰ الجهاد.. الكلُّ يطلب الحرية والاستقلال والسعادة والكرامة»(١٨٨). بذلك يوصي الإمام المبلِّغين ليوصي المبلِّغون غيرهم، فتنتقل الحركة بالرسالة من حلقة الىٰ حلقة، ومن يد الىٰ يد لتبلغ الهدف النهائي: «علينا أن نتواصىٰ فيما بيننا، ونوصي الآخرين بإزالة هذا الغموض المفتعل (عن الإسلام) وهذه الريب التي بثّها الأعداء خلال قرون سحيقة في الناس جميعاً، وحتىٰ المثقّفين منهم»(١٨٩).

من خلال هذا الفعل التثويري الدينامي يقرِّر الإمام الخميني حقيقة مرّة من الحقائق التي أماطت الثورة الإسلامية اللّثام عنها، عندما يَعتبر المثقّفين المسلمين بين ضحايا الضلال والتضليل في موقفهم السلبي من الإسلام، إلّا القلّة بينهم. وبذلك يتساوون بما أصاب العامّة علىٰ مستوىٰ النتائج، عندما تعبّدوا للنموذج الثقافي والحضاري الغربي فهجروا نموذجهم الذي جهلوه، وقرآنهم الذي لم يقرأوه، ووقفوا علىٰ الضفة الأُخرىٰ التي لم تعترف بهم، فخسروا أنفسهم، وضيّعوا علىٰ أُمتهم حقوقها في الإفادة من قدراتِهم وعلمهم(١٩٠).

في مجال هذا التوزيع التبليغي الشامل لفئات الأُمة، يرصد الإمام أهمية دور الجامعيين باعتبارهم «أكثر تفتُّحاً من غيرهم»(١٩١)، فيطلب من المبلِّغين أن يبثُّوا العقيدة الإسلامية ومشروع الحكومة الإلٰهية بين ظهرانيهم «بصورة خاصة»(١٩٢) فيقول: «..وثقوا بأن وراء ذلك نتائج حسنة وترحيباً شديداً سيُستَقْبَلُ به الإسلام في رحاب الجامعيين. فالجامعيون أشدُّ الناس عداوة للتسلُّط والعمالة والخيانة وعمليات نهب

الخيرات والثروات وأكل السُّحت، وسيجدون في الإسلام ــ الذي تبلّغونه إليهم، وفي تعاليمه في مجال الحكم والقضاء والاقتصاد والاجتماع ــ مايستميلهم إليه»[١٩٣].

وكما للجامعيين موقعهم الخاص في الدعوة، كذلك جيل الشباب عموماً، فالمشروع الإسلامي الحضاري إذا كُتب له النصر، فسترتدُّ عواقبه الإيجابية عليهم بتحقُّق «المصلحة العامة للمسلمين»[١٩٤]، كما علىٰ غيرهم من الأجيال القادمة.

لقد حمل الإمام هذا الهمَّ الحضاري المستقبلي بين جناحيه متمثلاً نهج الإمام الحسين ــ عليه السلام ــ في جهاده من أجل الإسلام والمسلمين، ومن أجل أجيالهم القادمة علىٰ المدىٰ الطويل، وكان نهوضه وتضحيته من أجل نشر الإسلام، وظهور أحكامه السياسية وتطبيق نظمه الإجتماعية علىٰ الناس جميعاً حاضراً ومستقبلاً[١٩٥]. كذلك أيضاً كان «عظماء الرجال يخطّطون للأجيال القادمة، لايحزنهم أن يلمسوا آثار خططهم (مباشرة)، مادام المستقبل كفيلاً باعطاء النتائج والثمرات»[١٩٦]. وسواء عند الإمام، أتحقق المشروع الإسلامي الآن، أم لم يتحقَّق، فإنَّ الدعوة إليه في أوساط الشباب واجبة في كل حال، فيوصي المبلِّغين الشباب «بأن يبيِّنوا للأجيال عالمية الاسلام وتشريعاته الإجتماعية وكل مايحتويه من أنظمة، وأن يتحدَّثوا إليهم عمَّا شرَّعه في موضوع الحكومة، كي يعلم الناس ماهو الإسلام، وأية قوانين جاء بها»[١٩٧]، و «كي لايظن جيل الشباب أن أهل العلم في زوايا النجف وقم يرون فصل الدين عن السياسة»[١٩٨].

إن مشروعاً حضاريّاً بحجم الإسلام وتميُّزاته ومثله وأهدافه التي ترافق مسيرة الإنسان حتىٰ نهاية الكون، يتطلّب «وقتا طويلاً وجهوداً مضنية»[١٩٩] بحيث تبني فيه الأجيال حجراً فوق حجر ولو استغرق الأمر

زماناً، بل أزمنة طويلة على قاعدة «غرسوا فأكلنا ونغرس فيأكلون»[٢٠٠]، والى أن يحقّق الله أمراً كان مفعولاً.

وفي جانب آخر من جوانب شبكة الدعوة والتبليغ في جوّانية الأُمّة، فإنَّ الإمام الخميني لم يهمل في حملة استنهاضه الشامل حتى حكّام المسلمين الذين لم يكن ليعوّل كثيراً على استجابتهم لنداءاته وصرخات تحذيره لهم[٢٠١]. لأنه أراد أن يضع الحجّة عليهم، امتثالاً لتعاليم الإسلام، فلعلّه يلقى من بعضهم أُذناً صاغية أو رفد اهتداءٍ واستفاقةٍ قبل فوات الأوان: «بيّنوا للناس برامج الإسلام وحكومته... فلعلَّ حكّام ورؤساء المسلمين يقتنعون بصحة هذا و يتّبعونه. فنحن لاننافسهم على الكراسي، بل نترك من كان منهم تابعاً أو أميناً على التنفيذ في مكانه»[٢٠٢].

وحتى تكتمل حلقات الإستنهاض الشامل في داخل إيران، أولى الإمام جيش الشاه ــ قبل الانتصار الكبير ــ اهتماماً خاصاً، وخصوصاً في المراحل التي تتابعت فيها انتفاضات المسلمين الإيرانيين بقيادة علماء الدين، وتحوّلت الى انتفاضات دامية، وإبّان إسناد مهمّة قمعها بالقوة الى الجيش البهلوي الذي أُمِرَ باستعمال كلّ وسائل الفتك والإرهاب، لخنق الثورة العتيدة في مهدها وإخماد أجيجها الغاضب بقوة السلاح.

ولم يترك الإمام مناسبة للجيش الإيراني فيها شأن، دون أن يوجّه إليه نداءاته التي سعى فيها الى إظهار حرصه على هذا الجيش من أن يُرتَهن لإرادة الأجنبي أو أن يكون وسيلة لقتل المظلومين والأبرياء من أبناء الشعب. و بالرغم من المجازر الوحشية التي ارتكبها هذا الجيش فقد ظلَّ الإمام حريصاً على دعوته الى عدم الولوغ في الدماء والى المبادرة الى استنقاذ إيران من جور الدكتاتورية وتخليص الإسلام من جلّاديه. يقول الإمام في هذا المجال: «نحن نعلم بأن البعض من قادة الجيش

وضبّاطه وجنوده الشرفاء يشاركوننا مشاعرنا.. (بمناسبة ارتكاب الجيش وجلاوزة الشاه مجزرة المدرسة الفيضية بقم)[٢٠٣]، و يستنكرون هذه الجرائم والأعمال الهمجية. كما وإني علىٰ علم بأساليب الضغط التي تُمَارَس ضدهم.. وإني أمدُّ يد الإخاء اليهم، وأدعوهم الى الإقدام والمبادرة لإنقاذ إيران والإسلام»[٢٠٤]. ولم تكن المبادرة للإنقاذ المقصودة، إلّا دوراً أساسياً في الانتفاض علىٰ سلطة الطاغوت: «ياجنود الإسلام الغيارىٰ الذين أُخرجتم من معاهدكم الىٰ معسكرات التجنيد الإجباري، أكملوا تدريباتكم العسكرية بكلّ شجاعة وإقدام لعلّكم تقومون بنفس الدور الذي قام به موسىٰ ــ عليه السلام ــ الذي ما ان ترعرع في بلاط فرعون، حتىٰ قام بتوجيه ضربته الىٰ حكمه الجائر، وعسىٰ أن تأتيكم الظروف الملائمة للقيام بالثورة علىٰ هذه السلطة الجائرة»[٢٠٥].

وعندما جرىٰ التصديق علىٰ «قانون الحصانة القضائية للرعايا الأميركيين في إيران»[٢٠٦] سنة ١٩٦٤م، من قبل مجلس نواب الشاه شن الإمام حملة شعواء ضد هذا القانون، وقد رأىٰ فيه «بيعاً لكرامة الشعب في سوق النخاسة الأميركي»[٢٠٧]، وخزياً للجيش وامتهاناً لكرامته ودوره المفتَرَض في الدفاع عن شرف الوطن والشعب، فراح يحضُّ الجيش علىٰ اتخاذ موقف قاطع مما لحق به من إهانة، مطالباً إيّاه بالعمل علىٰ تحرير البلاد من الاستعمار الأجنبي: «علىٰ جيش إيران أن لايسمح بوقوع هذه الإهانات والمخازي علىٰ أرض بلاده، وعلىٰ قائد الجيش أن يطالب بتمزيق هذه الوثيقة الاستعمارية، حتىٰ لو اقتضىٰ الأمر إسقاط الحكومة وطرد النواب الذين صوّتوا بالموافقة علىٰ هذا المرسوم المهين»[٢٠٨].

كذلك فعل الإمام بعدما تم اغتيال نجله الشهيد مصطفى داعياً

الجيش الىٰ التحرُّك للتحرر ولتحرير البلاد والعباد، مستنهضاً إيَّاه للانخراط في جبهة جهاد الأُمة في سبيل الحرية: «علىٰ الجيش وقادته أن يخلِّصوا أنفسهم من عار الارتهان للأجنبي، وأن يحرِّروا بلادهم من الهلكة والانحدار»(٢٠٩).

في حدود هذا الحيِّز الدّعوي يستكمل الإمام الخميني ــ رضوان الله عليه ــ استنهاضه وتثويره الجوّاني لخطوط جبهة المسلمين في داخل إيران وخارجها، بدءاً من إعادة تربية وتوعية وصناعة الإنسان المسلم، وصولاً الى الإمساك التبليغي بالبنىٰ البشرية للأُمة علىٰ المستويين الأُفقي والعامودي، ومروراً بالشرائح المفصلية فيها، بحيث تنضبط كلُّها في سياق واحد، ومسار تكافلي موحَّد، بثقافة واحدة ومشروع واحد مؤدٍّ الىٰ غاية واحدة يتكامل المسلمون في حركة تكليفهم الشرعي للوصول اليها، و يتوحَّدون.

ولا تقوم ثورة إلّا باستنهاض روح المجتمع باعتبارها مكوِّنة من أصيل ثقافته ومبادئها: «فمن استطاع أن يضع يده علىٰ روح ثورة ما، ويحييها، فإنَّه يتمكَّن من تحريك جسم المجتمع بأكمله في آن واحد»(٢١٠). وحتىٰ يتمَّ للإمام فعل البعث والإحياء المرجُوِّ، كان لابدَّ له من تحريك مَن هم بمثابة مصدر الحياة لتلك الروح المباركة، وإنعاشه وتزخيمه بالقوى الضرورية، وإصلاح مواطن العطب فيه حيث وُجِدَتْ، ومانعني بهذا المصدر/القلب النابض سوىٰ علماء الإسلام وفقهائه ومؤسساته الدينية التي ما استمرت للإسلام حشاشة إلّا بها، بالرغم ممّا أصابها من تداعٍ وتخريب.

ب ــ جبهة الإستنهاض الثانية: علماء الدين والمجامع الدينية:

علىٰ هذه الجبهة الثانية ــ كما سبق ووصفناها ــ كان اعتماد

الإمام اعتماداً أساسياً. فعلماء الدين هم تراجمة الإسلام، وضابطو حركة تكامل الأُمة، ومصدر نبض الحياة فيها، وهم ــ الى ذلك ــ مربُّوها ومرشدوها. فإذا ضلُّوا أضلّوها، وإذا صلحوا أصلحوها، وإذا تهافتوا تهافتت معهم أركانها وتداعت. وما أُصيبت به الأُمة، عبر التاريخ، من ويلات وانتكاسات وجمود ليس سوى دليل «آلي» على أهمّية فعل ارتكاس العلماء وارتباط مصير الأُمة بهم. وفوق هذا وذاك فمنهم قيادة الأُمة، وعليهم تبعات كونهم «خلفاء للرسل» و «حكّاماً على الناس» و «ورثة للأنبياء»[٢١١] «إن تقاعس العلماء وسكوتهم أشد ضرراً من تقاعس مَنْ سواهم. فالمخالفة والمعصية الصادرتان عن شخص عادي لايتجاوز ضررهما ــ في الغالب ــ نفسه، بينما يكون فيما يصدر عن العالم من مخالفة ومعصية، أو سكوت على الظلم، ضرر عظيم على الإسلام كلّه. أما إذا عمل بواجبه على الوجه الأكمل، وتكلّم حيث ينبغي التكلّم، فإنَّ نفعَ ذلك يعود على الإسلام كلّه أيضاً»[٢١٢].

نهض الإمام الخميني في وسط هؤلاء العلماء، وترعرع وصلب عوده الفكري والسياسي بين ظهرانيهم في «المراكز الدينية العلمية التي تُمَارَسُ فيها عمليات التدريس والتعليم الديني والزعامة الدينية. فهي موطن الفقهاء العدول ومهبط الطلبة والأساتذة من شتّى البلاد، وهي معدن أُمناء الله وخلفاء الرسل..»[٢١٣]، نهض الإمام في هذا المحيط، فإذا به يجده في وضع مماثل لوضع المجتمع الإسلامي خارجه، ونظر الى المجتمع فإذا هو يعاني من ذات المشاكل والعلل التي يعاني منها رجال الدين ومؤسَّساتهم الدينية. إنَّه التماثل الطبيعي بين وضع الأعضاء ووضع الرأس والقلب في الأُمة: سكونيَّة وصمت وخوف، وإفراغٌ للمقدَّسات من مضمونها، وغزو أنماط الفكر المضاد ونموذجه الحضاري، وطلاق بين أكثر العلماء والفقهاء من جهة والحياة والحداثة من جهة أُخرى، وتعطيل

لفاعلية العبادات، وخمول وتبلّد في الأذهان الى درجة البلاهة، والميدان الإسلامي مُسَيَّب لسلاطين الجور وفقهائهم، وقعود عن أهمّ التكليفات الإلٰهية.

رصد الإمام مواقع الخلل والتعطيل تلك، ووعىٰ طبيعتها وعللها ونتائجها الوبيلة علىٰ المسلمين والإسلام، وعلىٰ العلماء أنفسهم.. فكان الأدرىٰ في معرفة أسرار العرين المتردّي الذي عايشه عن كثب، ومافارقه علىٰ مدىٰ عمره الطويل، فقام منه يتصدّىٰ لمفاعيل القحط والعقم والبدع، ويسلُّ من جديد سيوف الحق ويشهرها في وجوه الطغاة، ويستنقذ قيم الإسلام الأصيلة من بين ركام العقول المتجمّدة، معيداً تحريك عافية الهدىٰ في النفوس والهمم، ومستردّاً الثقة المفقودة بالمشروع الحضاري للإسلام، ومعيداً المراكز الدينية الىٰ موقعها الحقيقي في قيادة المجتمع والحياة وتحمُّل المسؤوليات التي قامت من أجل الإضطلاع بها.

يقول الإمام في هذا السياق: إنَّ «قيادة الأُمة الىٰ الصلاح، ومعرفة الإسلام علىٰ وجهه الصحيح، تستلزم صلاح أهل العلم وحملة الشريعة، بمعنىٰ: ضرورة تكامل نشاطهم التعليمي، والاعتماد علىٰ النفس والثقة بها، واجتناب الكسل والوهن والضعف والنكول، ومحاولة محو آثار مايُنْشَر في الناس من أباطيل، وتهذيب الأفكار المتحجّرة في صفوف البعض منا، وطرد فقهاء القصور الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم من صفوفنا، وإبعادهم عن زيِّنا، وتعريتهم وفضح أعمالهم»[٢١٤].

إنَّ تنكُّر علماء الدين ومؤسساتهم الدينية لهذه المسؤوليات هو إحداث للفراغ الكبير الذي لايدانيه فراغ علىٰ مستوىٰ الأُمة، فتغدو سائرة بلا رأس وبلا قلب، مدفوعة من الخلف بدوافع وقوىٰ مضادة، ومشدودة من الأمام بحوافز هجينة لا تمتُّ الىٰ ثقافتها وفكرها بصلة، بينما تنهال على جسدها سياط العصاة والمشوِّهين وحكّام الجور والأدعياء، لضبطها في

مسار غربتها واغترابها عن عقيدتها ومُثُلها العليا وذاتها.

هذا الغياب، أو التغييب، كان مدعاة لإحداث صدمة للواقع المتهافت من خلال إعادة ملء الفراغ واستنقاذ المشروع الريادي الإسلامي مما علق فيه من أدران، ومما أُسقِطَ فيه من أعراف وتقاليد بالية. يقول الإمام في هذا الواقع المزري: «أُنظروا الهيئات الدينيَّة، فستجدون آثار ونتائج تلك الدعايات واضحة. فهنالك البطَّالون من عديمي الهمم، وهنالك الكسالىٰ الذين يكتفون بالدعاء والثناء والتحدُّث في بعض المسائل الشرعية، وكأنهم لم يُخْلَقوا لغير ذلك. ومما يمكن رؤيته في هذا الجو من تلك الآثار هو النغم التالي: (الكلام يتنافىٰ ومقام العالِم.. المجتهد لايليق به أن يتكلّم ويحسن به أن يكثر الصمت، و يكتفي بقول: لااله إلّاالله، أو يكتفي باليسير جداً من الكلام)... هذا خطأ، وفيه مخالفة للسنَّة الشريفة..»[٢١٥]، بقدر مافيه من خروج علىٰ منهج القرآن[٢١٦].

ولشدَّ ماكان يؤلم الإمام في أوساط علماء الدين والحوزات العلمية، استسلام بعض المجتهدين والعلماء لبدعة فصل الدين عن السياسة. فما كان منه إلّا أن شنَّ عليهم حملة رفضٍ واستنكارٍ لاهوادة فيها، وفي منتهىٰ الصرامة والقسوة اللّتين اشتهر بهما. فبمقدار ليونته ومرونته وتسامحه في التعاطي بشؤون الناس، كان هجومياً حادّاً في تعامله مع علماء وفقهاء الهيئات والمجامع العلمية من حملة الأفكار البائدة أو المبتدعة: «الأفكار البلهاء التي يبثُّها الأعداء ممّا ذكرنا بعضها (كمقولة فصل الدين عن السياسة، ومقولة تنافي الكلام ومقام العالم..)[٢١٧] يوجد فينا من يؤمن بها. وفي هذا إدامة للإستعمار والنفوذ الأجنبي.. هؤلاء جماعة من البلهاء يُدعون بالمقدَّسين، وهم ليسوا بمقدَّسين، بل متقدِّسين يتكلَّفون التقدُّس، علينا أن نُصلِحهم، وأن نحدِّد موقفنامنهم. لأن هؤلاء يمنعوننا

من الإصلاح والتقدُّم والنهوض... وعلينا أن ننصح أمثال هٰؤلاء أن يرجعوا عن غيِّهم، وننبِّههم الى الخطر المحدق بالإسلام والمسلمين وأن نفتح أبصارهم.. علىٰ الخطر الصهيوني والأنكلو ـ أمير كي الذي يمدُّ الكيان الإسرائيلي بمقوِّمات الحياة.. فإن نفعت الذكرى فذلك مانريد، وإلّا كان لنا معهم حساب آخر، وموقف آخر»[٢١٨].

إلّا أن فعل الصدمة الذي مارسه الإمام لم يكن مجرَّد احتجاج في مجال الخطأ أو الخطيئة التي تهاوى فيها الآخرون فحسب، بل هي تقويم لرؤية حضارية منحرفة، وتصويب لخطّ الرسالة وإعادة احكام تثبيت العالِم الديني في موقعه الحقيقي، وإعادة ردّ الاعتبار لعلمه، ولدوره الذي تخلّىٰ عنه أو أهمله. وبذلك يتمُّ تصحيح العلم التائه عن هدفه بالعلم المؤدِّي الى الهدف، والمنهج المنحرف والموصل الى الانحراف عن طريق السعي الى إعادة مطابقته مع نموذجه القرآني والنبوي وخطّ الأئمة، وإعادة توظيفه في خدمة المشروع العالمي للإسلام، وحماية الأُمة من الأخطار التي تهدِّدها، من الشرق هبَّت أم من الغرب، أم من عقر الدار كما يتمُّ بذلك أيضاً ضبط أيِّ انحراف فقهي، أو جمود اجتهادي، بالفقه الأصيل والتجديد والإبداع.

هكذا يتبوَّأ علم العالِم درجة أمانة الله في عباده وبلاده: «لايطمع في شيء من فضلات الحياة، ولايطيع للظالمين أمراً، ولايزكِّي لهم عملاً»[٢١٩]. ولابدَّ أن العلماء يعرفون «ماجناه على الإسلام فقهاء السلاطين..، ومالتعامل الفقيه مع الجائرين من تأثير علىٰ الناس. فانضواء الفقيه تحت لوائهم أشد ضرراً علىٰ الإسلام من انضواء أيِّ فرد عادي. ومن هنا فقد شدَّد أئمَّتنا المعصومون علىٰ أهميَّة هذا الأمر، ونهوا أتباعهم عن أيِّ نوع من التعاون والتعامل مع الحكَّام الجائرين، حذراً من أن ينتهي الأمر بالإسلام الىٰ هذه النهاية التي نراها»[٢٢٠]. وإذا

كان من أوّليات واجبات المسلم النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، فإنَّ من مستلزمات القيادة العلمائية أن تقود بمواقفها «المتصلّبة الشديدة»[٢٢١]، عملية النهي عن المنكر التي تستتبع أن يقتدي الناس بهم ضد السلطة المنحرفة[٢٢٢]. و «لماذا الخوف؟ ــ يتساءل الإمام ــ فليكن حبساً، أو نفياً، أو قتلاً، فإنَّ أولياء الله يشرون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله»[٢٢٣]. وبهذا المعنى لايعود جهاد العالِم الديني فرديّاً أو جزئيّاً، بل جهاداً مقدّساً يسبق فيه سائر الناس بحكم موقعه ووظيفته اللّذين اختصه الله بهما[٢٢٤]، وهو دليل الأُمة وترجمان شريعتها. وهكذا نفهم ثورة الإمام على سكوت الساكتين من الفقهاء والعلماء فيخاطبهم بقوله: «لماذا السكوت؟ هؤلاء يذلُّونكم، فاصرخوا في وجوههم ــ على الأقل ــ واعترضوا، وانكروا، وكذِّبوهم.. يجب أن يكون لكم صوت مسموع حتى لا تتخذ الأجيال القادمة من سكوتكم مايبرِّر أعمال الظلمة»[٢٢٥].

أما إذا كان هؤلاء السادة يتذرَّعون بمبدأ التقية لتبرير صمتهم، فإنَّ الإمام يحتجُّ عليهم بأنَّ التقية قد شُرِّعَتْ «للحفاظ على النفس أو الغير من الضرر في مجال فروع الأحكام. أما إذا كان الإسلام كله في خطر، فليس في ذلك متَّسع للتقية والسكوت.. وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحداً منا بالدخول في ركب السلاطين، فيجب الإمتناع عن ذلك، حتى ولو أدّى الى قتله، إلّا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام والمسلمين»[٢٢٦]، وهذا الواقع في ظروف هؤلاء غير قائم: «فالتقية في مثل هذه الحالة حرام، وإنَّ إظهار الحق واجب شرعي»[٢٢٧]. وإذا كان الإمام يطالب هذا الصنف من العلماء «بالحد الأدنى» والقبول منهم بـ «الأقل»: أي بالصرخة والاستنكار مستنهضاً فيهم ماهو أول أبجدية تكليفهم الشرعي، فإنَّ المطلوب الى غيرهم من الفقهاء

النموذجيين أن يضطلعوا بمسؤولياتهم الطبيعية والمهام التي أناطتها الشريعة بهم وقوامها: «أن يبيِّنوا للناس العقائد الحقَّة، والأنظمة الإسلامية، وطرق الجهاد والنضال، و يقودوا الناس، لينقاد لهم الناس تلقائياً، إذا لمسوا فيهم الأهلية والإخلاص ونكران الذات»[٢٢٨]، وبمعنىً آخر فإنَّ «على الفقهاء بيان المسائل والأحكام والأنظمة الإسلامية وتقريبها الى الناس، من أجل إيجاد تربة صالحة تعيش على سطحها النظم والقوانين الإسلامية»[٢٢٩].

وعندما يتصدَّى العلماء الفقهاء، الذين يسمِّيهم الإمام بـ «حصون الإسلام»[٢٣٠]، للشؤون العامة للأُمة متحلِّين بصفات وشروط الأعلمية والعدالة، فلن يضِلَّ المسلمون الطريق إليهم والاعتراف بقيادتهم. وفاق هذا التوجُّه المنهجي جاهد الإمام على جبهة الفقهاء، يستدعي المغمور منهم، و يستحث المهمل، و يستصرخ الساكت، و يستثير المستكين، و يستوثب العاجز، باذلاً أقصى الجهد في سبيل القضاء على أسباب الظاهرة التي أفرزت في الحوزات والمجامع العلمية الدينية هذه الأنماط من العلماء.

وإذا كان الإمام، قد اتخذ موقفاً صارماً حيال هذه الظاهرة السلبيَّة ــ كما سبق ونوَّهنا به ــ فإنَّنا نكاد نتلمَّس في نصوصه، قبل انتصار الثورة الإسلامية، قدراً من التشاؤم وتوقُّعاً لصعوبات كبرى في إصلاحها وتقويمها، لذلك نراه يميل بكلِّ ثقله للعناية والاهتمام بطلّاب المجامع العلمية الشباب، فمنهم فقهاء المستقبل وقادة الأُمة الواعدون، وهم جيل الدُّعاة الجدد المتتلمذون على الإمام وفكره وفلسفته ومنهجه وجهاده، والمكلّفون بحمل المشروع الإسلامي العالمي الى الدنيا، وهم جهاز الإستنهاض و بثيثه وعناصر إحيائه: «أنتم شباب المراكز الدينية ــ يقول الإمام (قدّس سرُّه) ــ كونوا أحياءً، واعملوا على إحياء أمر

ربّكم، والمحافظة علىٰ أنظمته.. ياجيل الشباب.. اجمعوا أمركم فسيرىٰ اللّه عملكم ورسوله والمؤمنون، وتكاملوا، واتركوا توافه الأُمور، وأعرضوا عن القشور، وانهضوا بمسؤولياتكم.. أنقذوا الإسلام وأنجدوه، فالإسلام يستصرخكم، وخلّصوا المسلمين من الأخطار المحدقة بهم... عليكم أن تبثُّوا علمكم»[٢٣١]. وها هو يحذِّرهم من السقوط في المهاوي التي سقط فيها العلماء المهملون المذعنون، من الصامتين أو خدم السلاطين بعدما نجحوا في تكريس نموذج علمائي منحرف «وها نحن الآن نعجز عن إقناع البعض منَّا بالخطأ الذي وقعوا فيه من الاعتزال وعدم الاهتمام بشؤون المسلمين»[٢٣٢]، فيقول الإمام في تحذيره: «إن علماء الإسلام الحقيقيين كانوا منزَّهين عن مثل هذا ولايزالون. وهؤلاء الذين ترونهم وتسمعونهم أحياناً قد ألصقوا أنفسهم بالعلماء إلصاقاً، وليسوا من العلم والعلماء في شيء، إنَّما هم جماعة من البطَّالين، والناس تعرفهم»[٢٣٣]. وفي المقابل يطرح الإمام برنامج مهمَّات للعلماء الشباب داخل الحوزات: «إدرسوا وتفقَّهوا، وقوِّموا الهيئات والمجامع العلمية ولا تتركوها تتداعىٰ وتنهار»[٢٣٤]، إضافة الى مهمَّاتهم العامة خارجها: «ولكن في خلال دراستكم، بلّغوا وأرشدوا ووجِّهوا وأيقظوا النفوس من سباتها»[٢٣٥]، وبهذه وتلك، فإنَّ عليهم حمل رسالة الإستنهاض في كل أرجاء الدنيا وإعداد أنفسهم علماً وتقوىً وتحصُّناً بقيم الإسلام وأخلاق اللّه والأنبياء: «فأعدُّوا أنفسكم لحفظ أمانة اللّه التي آستودعكم إيَّاها.. كونوا أُمناء علىٰ دينكم.. جنِّدوا أنفسكم لإمام زمانكم حتى تستطيعوا أن تبسطوا العدل علىٰ وجه البسيطة. أصلحوا أنفسكم وتخلَّقوا بأخلاق اللّه وأخلاق الأنبياء.. ليقتدي الناس بكم في عفَّة نفوسكم ورفعتها، وليكون لهم فيكم أُسوة حسنة»[٢٣٦].

ج ـ جبهة الإستنهاض الثالثة: المظلومون والمستضعفون:

عبر هذه القراءة لاستنهاض الإمام أهلَ العلم في المجامع والهيئات الدينية، وفي نسيج الخطاب التبليغي المجسِّد للخطاب الحضاري، يرفع الإمام وتيرة بلاغه وإبلاغه الىٰ عمق جبهة الإستنهاض الثالثة التي تتألَّف من المظلومين والمستضعفين في العالم من غير المسلمين. أُولئك المعنيون بقضايا الحرية والعدالة المزروعين في شتَّىٰ بقاع الأرض، فهم ـ أيضاً ـ جزء لايتجزأ من قضية مشروع الإمام بالإسلام، وقد أعيتهم السبل الىٰ التخلّص من الظلم والعسف والاستغلال، بعدما تسلَّطت عليهم قوىٰ الكفر والإستكبار، واستلبت ارادتهم، وجعلتهم في غفلة عن أمرهم، من غير ماتعمُّدٍ منهم أو تقصير ذاتي، فهم مسلوبون مُسْتَلَبون [٢٣٧]. أُولئك الذين قال اللّه سبحانه فيهم: «**إلّا المُستَضعَفينَ منَ الرِّجالِ والنِّساءِ والوِلدانِ لايَستطيعونَ حيلةً ولايَهتدونَ سَبيلاً * فأُولئك عسىٰ اللّهُ أن يعفوَ عنهمْ وكانَ اللّهُ عفوّاً غفوراً**» [٢٣٨].

من وعداللّه وإرادته في منح الأرض للمستضعفين تصديقاً لقوله عزَّ وعلا: «**ونريد أن نَمنَّ علىٰ الذينَ آستُضْعِفوا في الأرض ونجعلهمْ أئمَّةً ونجعلهمُ الوارثين**» [٢٣٩]، «تتكامل قضيَّتا المسلمين والمستضعفين لطرد المستكبرين من مسرح التاريخ» [٢٤٠]، وتلك سنَّة إلٰهية أثبتها الخطاب القرآني: «**وأَورثْنا القَومَ الذين كانوا يُسْتَضعَفون مشارقَ الأرضِ ومغاربَها التي باركنا فيها**» [٢٤١] وماهذا التكامل سوىٰ مرحلة علىٰ طريق توحُّد القضيَّتين في القضية الواحدة علىٰ أرض المشروع الإلٰهي للعالم. وليس بلا دلالة توحيد الإمام الخميني للقضيَّتين في بعض نداءاته:

«يا مسلمي العالم، و يا مستضعفي الأرض.. هيا الىٰ النظام الذي جاء من قِبل اللّه تعالى لنموّكم وتكاملكم، ولسعادتكم في الدنيا

والآخرة، ولإزالة الظلم وحقن الدماء ونصرة المظلومين في العالم، ولأجل التربية والتعليم الإنسانيين، ولأجل حرية واستقلال أقطاركم»[٢٤٢].

وبغائية هذا التوحُّد يعتبر المسلمون أنفسهم، بأمر وتكليف ربّانيَّين، مكلَّفين ومسؤولين عن «إنقاذ المحرومين والمظلومين..، ومناوأة الظالمين، كما ورد في وصية أمير المؤمنين(ع) لولديه: (كونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً..)»[٢٤٣]، وذلك عملاً بقوله تعالى: «**ولا تَرْكَنوا الى الّذينَ ظَلَموا فتمسَّكُم النارُ ومالكُم مِن دونِ اللّه مِن أولياء ثمَّ لا تُنصَرونَ**»[٢٤٤][٢٤٥] واستناداً الىٰ شمولية الرسالة، لأن الإسلام «ليس لطائفة واحدة، بل وليس للمسلمين فقط.. الإسلام جاء للبشر كافة»[٢٤٦]، وفاق قول الإمام الخميني.

هذا التكامل التوحيدي بين المسلمين والمستضعفين المظلومين، ليس مجرَّد تحالف سياسي أو مصلحي، بل هو تلاحم عضويٌّ دينامي في بنيان قضية الإنسانية الواحدة: قضية الحرية والإستقلال، بما هي في صلب تحقيق العدالة في الأرض وقيام حكم الله. لذلك كانت دعوة الإمام الخميني الىٰ أن يكون المسلمون وطلّاب التحرُّر في العالم يداً واحدةً: «كونوا في ذلك.. (التخطيط للحكومة الإسلامية والتقدُّم فيها)[٢٤٧].. يداً واحدةً مع كلِّ من يطالب بالحرية والاستقلال»[٢٤٨]، ناهيك بأن هؤلاء هم مسلمون بالقوة، وإنْ لم يكونوا كذلك الآن بالفعل. فأنَّىٰ للعدالة الواقعية أن تقوم بين الناس من غير قانون عادل؟، وأنَّىٰ للحرية أن تنمو وتتشكَّل فتتجسَّد، بمعزل عن ذلك القانون الإلٰهي الذي حرَّر الإنسان من قيود العبودية لغير الله؟[٢٤٩]، فمشروع الإسلام واضح، وقضيَّته العالمية مُشهرة على الملأ، ولم يكن يرقىٰ للإمام أيُّ شك في أنَّها: «إذا انعكست في العالَم، فإنَّ الذين يخالفوننا هم الظالمون، وهم الأقليَّة، والذين يوافقوننا هم الأكثرية وهم المظلومون» علىٰ حد

قوله (٢٥٠)

ولايحيد الإمام في منهجه الحضاري هذا قيد أنملة اقتداءً بخطّ الرسالات الرحمانية والأنبياء والأئمّة، ولشدّ ما تمثل هذا الخط من خلال إمامة علي بن أبي طالب(ع) وانتصاره الدائم للمظلومين، «فعلينا الاقتداء به، فلا نسكت على الظالمين واستبدادهم و بغيهم.. فالسكوت عن الظلم، وعدم ردّ كيد الظالمين، في عصرنا الحالي، يُعتبر تعاوناً معهم» وفاق قول الإمام الخميني (٢٥١).

إن الوقوف في وجه الظلم وأسبابه، والتصدّي لعوامل الاستضعاف والقهر هما تجلّيان لأصلين بنيويين في العقيدة الإسلامية، وهما: التوحيد والعدل. وإذا كان التوحيد هو «جوهر العقيدة» (٢٥٢) الإسلامية يتحرَّر به الإنسان من عبودية غيرالله، فإنَّ العدل «هو الشرط الأساس لنمو كلِّ القيم الخيِّرة الأُخرى. و بدون العدل والقسط يفقد المجتمع المناخ الضروري لتحرُّك تلك القيم و بروز الإمكانات الخيِّرة (٢٥٣).

بهٰذين الأصلين الشاملين تشبث الإمام الخميني في خطّ الاستنهاض الإسلامي بحيث تستقيم الأُمور كلُّها للّه، و باتجاهه تندفع، والى قيام حكمه وعدالته وأخلاقه تُرَصُّ الصفوف، وتُعبَّأ الجهود والجهاد والجهات، من الإسلام الى الدنيا قاطبة ومن موقع متقدّم الى آخر أكثر تقدُّماً، ومن جوّانية الفرد، الى جوّانية الأُمة وصولاً الى العالم بأجمعه. فالمسلم حينما يقاوم الظلم في محيطه، أو في بلاده، أو في بني قومه، فإنَّه «لايعزل هذا الظلم عن أيِّ ظلم آخر يمارسه الجبَّارون في الأرض» (٢٥٤). وهو حينما يتطلَّع الى العدالة، فلا يراها كاملة إلّا عندما تسود الدنيا. وإذا كان يؤمن بعدالة واحدة هي عدالة القانون الإلٰهي وأحكامه، فإنَّه ــ بالمقابل ــ مأثومٌ وعاصٍ إذا أغمض عينيه عن انتقاص يصيب الحقوق المشروعة لأيِّ إنسان على هذه البسيطة. ولذلك

فهو مكلّف شرعاً بإقامة حكومة الله في الكون، والدأب المستمر على تنفيذ شرائعها التي لا شريعة غيرها ــ عنده ــ قادرة على إنفاذ عدل الله، وتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا وفي الآخرة.

بهذا المنهج الحضاري المستند الى العقيدة الإسلامية، يكون «كلُّ إطار أو نظام لا يستمدُّ قواعده من الإسلام فهو غير مشروع»[٢٥٥] بحيث تشكِّل هذه اللامشروعية ــ من وجهة النظر الإسلامية ــ موقفاً ورفضاً ضمنيّاً لكلِّ عمليات التحريك الحضاري التي تمارسها الأنظمة والمذاهب الاجتماعية الأُخرى[٢٥٦].

وبهذه الإشعاعات الحضارية استنار الإمام الخميني، وأنار ظلام المسلمين والمستضعفين في الأرض ثائراً ومربِّياً ومستنهضاً فيهم قابليات الحق والعدل والخير والحرية المنضبطة في مدار المشروع الحضاري للإسلام، ونظرته للحياة والإنسان وتكاملهما في مسيرة إقامة حكم الله، وكدحاً إليه سبحانه وتعالى عمَّا يصفون.

رابعاً: المُسْتَنْهِضون

ليس بين المسلمين ــ أساساً ــ من هو خارج قضية الدعوة والاستنهاض. فالمسلم ــ في عباداته وسلوكه، وممارساته ووعيه، مهما تعدَّدت مستوياته واختلفت ــ نموذج للتعريف والتعليم والتربية والاقتداء. إنَّه بذاته نموذج حركة وتحريك، وقد صنع منه الإسلام إنساناً مكلَّفاً بنظام من الأفكار والقيم والأخلاق والضوابط، بحيث يغدو بها في حياته ومعيشه مقدّماً ومتقدّماً، فإذا هو حالة دعوة ذاتاً وموضوعاً تدبُّ على الأرض. وبهذا المعنى يكون ــ موضوعياً ــ كلُّ مسلم في وضع الداعية المستنهِض. وهو ــ بمعنًى أدقَّ ــ مدعوٌّ وداعيةٌ، ومُسْتَنْهَضٌ ومُسْتَنْهِضٌ، على أساس أنَّ مسيرته في هذا العالم مسيرة ارتقائية وتكاملية دينامية، مستقيمة الى اللانهائي المطلق، تكدح إليه مادامت متمتعة بنعمة الحياة واستمرار تكليف الاستخلاف الإلٰهي للإنسان، وهو تكليف بأبعاد متكثِّرة وثابتة، محكومة بسنن هذا الاستخلاف وقوانينه.

إنَّ هذا الهدف اللانهائي هو الوحيد «الذي يضمن للتحرك الحضاري للإنسان أن يواصل سيره وإشعاعه وجذوته باستمرار.. وهو الذي يقترب الإنسان منه باستمرار و يكتشف فيه كلَّما اقترب منه آفاقاً جديدة، وامتدادات غير منظورة تزيد الجذوة اتِّقاداً والحركة نشاطاً

وإبداعاً»[٢٥٧]. فبتسلّق الصراط المستقيم اللّولبي المؤدّي إليه، وبالإقتراب المستديم منه تنفتح أمام الجماعة البشرية آفاقٌ أرحبُ تكشف أمامها المزيد من أسرار الطريق وعتماتها، «لأن الإنسان المحدود لايمكن أن يصل الىٰ اللّه المطلق، ولكنه كلّما توغل في الطريق إليه، إهتدى الىٰ جديد»[٢٥٨]، وقد قال تعالىٰ: «**والّذينَ جاهدوا فينا لَنَهدينَّهم سُبُلَنا**»[٢٥٩]. فكل تحقُّق لهدف أرضي مدعاة لمجاهدة جديدة باتجاه تحقيق هدف أسمى وأبعد، اقتراباً وسعياً الىٰ التكامل في الهدف اللّانهائي، وكلُّ معرفة ناجزة مآلها الىٰ معرفة جديدة، وكلُّ خطوة تقدُّمية هي تقصير لمسافة الإقتراب، وكلُّ عبادة هي في ذاتها نماء وارتقاء وثقافة جديدة في العبودية للّه سبحانه، ومع كلِّ تراكم كشف جديد «وتجوهر» للنفس وتألُّقٌ في النعم التي لاتحصىٰ، وكلُّ فعل إنساني يصبح استجابةً واستدعاءً لفعل أصلح وأشمل، وتكليفاً بالأكمل.

في هذا المنهج الحضاري لاينقطع المسلم عن كونه مدعوّاً وداعيةً، ومستَنْهَضاً ومستَنْهِضاً، ومهتدياً وهادياً، وكذلك الأُمة الإسلامية التي لا تتخذ حقيقة «إسلاميتها» مضمونها الأصلي إلّا إذا حمل عديدُها من المسلمين مشروع الإسلامي الحضاري للدنيا، متحمِّلاً مسؤولياته الربانية علىٰ الأرض[٢٦٠] وقيادتها وفاق ما شرَّعته المشيئة الإلٰهية من قوانين ونظم لخير البشرية جمعاء. وعلىٰ هذا الأساس فهي أُمة مزوَّدة ومختزنة بنظام علوي شامل وعادل وواحد يجعلها ــ بالضرورة ــ ذاتياً وموضوعياً، أُمة دعوة واستنهاض للبشر كافّة، وأُمة التوحيد فيهم، وأُمة توحيدهم.

إن وحدة المشروع الإلٰهي حول المطلق السماوي مقتضية ــ بالضرورة ــ وحدة الأُمة/الدعوة التي ترفعه، ووحدة الدعاة المكلّفين بحمله لوحدة العالم/الوجود. ومن خلال هذه الرؤية التوحيدية الشمولية

تنبثق الدعوة متّخذة مضموناً إحيائياً يقوم على مايحيي الإنسان في الدنيا وفي الآخرة آستناداً الى قوله تعالى: «**يا أيُّها الذينَ آمَنوا آستجيبُوا لِلّهِ وللرسولِ إذا دَعاكم لِمَا يُحييكُم**»[٢٦١] «فالحياة أنعَمُ نعمة يعتقدها الموجود الحي لنفسه.. ولايرى وراءه إلّا العدم والبطلان»[٢٦٢]. أمّا إذا آنحرف الإنسان عن سويِّ الفطرة الإنسانية والصراط الذي تهديه إليه، «فَقَدْ فَقَدَ لوازم الحياة السعيدة»[٢٦٣] وفي طليعتها: العلم النافع والعمل الصالح، ولَحِقَ بالأموات، بحلول الجهل وفساد الإرادة الحرة.. ولايحييه قبل ذلك و بعده، إلّا علم حق وعمل حق تندب إليهما الفطرة. وما يدعو إليه الرسول(ص) هو الدين الحق المتجلّي في الإسلام الذي يفسّره القرآن الكريم باتّباع الفطرة فيما تندب إليه[٢٦٤].

هذا في الحياة الدنيوية، أما الحياة الأُخرىٰ التي تندب الآية الكريمة السابقة إليها أيضاً، فهي الأرفع قدراً، والأعلىٰ منزلة، وهي الحياة الحقيقية الأكمل[٢٦٥].. ورسول الله(ص)ــ بالإسلامــ يدعو الناس الىٰ هاتين الحياتين لما فيه خير الإنسان فيهما، وبهذه الدعوة كانت الأُمة الإسلامية خير أُمة، وفاق قوله جلَّ وعلا: «**كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرجَت للناسِ تأمرونَ بالمَعروفِ وتنهونَ عَنِ المُنكرِ وتُؤمنونَ باللّهِ**»[٢٦٦]، وهي دعوة غير منقطعة مهما تبدّلت الأحوال وتتابعت الأزمان.. إنه تكليف الأُمة المعادل لوجودها، والملازم لحضورها، ومنهاجها المستقيم أبداً، «**فادعُ وآستَقِمْ كما أُمِرتَ ولا تتَّبِعْ أهواءَهُمْ**»[٢٦٧] «**وكذلِكَ جَعَلناكُم أُمَّةً وَسَطاً لتَكُونُوا شُهَداءَ علىٰ الناسِ**»[٢٦٨]. بما المسلمون أُمة العدل والوسط التي لاإفراط فيها ولا تفريط، الىٰ ذلك تدعو خالصة في عبوديتها لله، مهتدية الىٰ سواء السبيل، وهادية الىٰ شريعة الحقِّ والخير[٢٦٩]، ومهاجرة أبداً الىٰ القبلة المشتَرَكة الواحدة[٢٧٠]. وما المسلمون في ذلك كلّه إلّا نموذج نوعيٍ وحضاري متكامل علىٰ طريق الهجرة الىٰ الله، بجهاد

مزدوج: جهاد يحرِّر الإنسان من الداخل ــ وهو الجهاد الأكبر ــ وجهاد يحرِّر الكون من الخارج ــ وهو الجهاد الأصغر ــ «لأن هذا الجهاد (الأخير) لن يحقِّقَ هدفه العظيم إلّا في إطار الجهاد الأكبر»[٢٧١]. لكنَّ الجهادين غير منقسمين، بل «يسيران جنباً الىٰ جنب»[٢٧٢]، عملاً بمنهج النبي(ص) الذي كان ينتقل بأصحابه دائماً من الجهاد الأصغر الىٰ الجهاد الأكبر، بل كانوا يمارسون الجهادين في آن معاً[٢٧٣]، كذلك كان نهج الأنبياء، وكذلك كانت ثورتهم: تحريراً جوّانياً، وتحريراً للعالم في الوقت نفسه، أو ــ علىٰ الأقل ــ مرحلة من مراحل إنجاز هذا التحرير العالمي، ونقلة في اتجاهه، أو قل: إنَّه تحرير بالقوة على طريق التحرير بالفعل.

تلك هي البنىٰ التأسيسية للمشروع الحضاري للإسلام كما تَنَزَّل به الوحي، أو كما شاءه أن يكون، وكما جاهد في تحقيقه وإرساء قواعده خاتم النبيين(ص). ولم يطُل الزمن حتىٰ راحت المسيرة الحضارية للأُمَّة تتداعىٰ وتتحلَّل وتنشطر، بالرغم من حالة التمدُّد والتوسُّع المختزنة لحالات وأوضاع مرضيَّة معقَّدة من القمَّة الى القاعدة. واستمرت عوامل التفسُّخ والانهيار والذهول عن الذات تتراكم وتتفاعل الى أن صارت الأُمة أُمماً بفعل التجزئة والتبعيَّات واختراقات البدائل الحضارية المستوهمة، وهجرات القنوط واللَّوذ بالمُثُل السرابية أو السلفيات المتكلّسة.

ومع ذلك كلِّه، وفي تاريخ هذا الاختناق، و بفعل الفساد والإفساد الشاملَين، وعلىٰ خطىٰ الأنبياء والأئمَّة والصدّيقين وأولياء الله الصالحين الذين حفظوا وحافظوا علىٰ الإسلام أمانة إلٰهية للأجيال، كانت نهضة الإمام الخميني بالمشروع الأصيل، وأحوال الأُمَّة كما وصفنا، طاوياً في وعيه التاريخيِّ ثلاث مساحات: الأُمة كما كانت، والأُمة كما هيْ، والأُمَّة كما يجب أن تكون. ولم تكن معايير هذا الإدراك

إلّا معايير الإسلام في سننه التاريخية والتطورية والاجتماعية والسياسية، وقوانينه ومفهومه للإنسان والحياة، كما سبق لنا وأكّدنا مراراً. فمن الإسلام جاء الإمام، و به انطلق، والى تحقيق أهدافه وصل ليله بنهاره في شتّى الميادين والمجالات، والى مشروعه نهض ودعا واستنهض الداخل والخارج، والقاصي والداني، والمجتهد والجَهَلة من العامة.. وصولاً حتىٰ الىٰ ظالمي أنفسهم والخصوم الأيديولوجيين والأعداء.

ولم يكن بدٌّ ــ كما السنّة والقانون الاجتماعيان والسياسيان ــ من وجود حمَلة لمشروع الاستنهاض المستفيق، يؤمنون به و يعرفون تفاصيله، و يستلون حجج التأثير والاقناع به، و يربُّون الأُمّة علىٰ الانخراط في الجهادَين الأكبر والأصغر لتحقيق أهدافه، و يدعون إليه العالم، و «يُنَمْذِجُونَهُ» في أنفسهم وللآخرين قدوة ومثالاً واخلاقاً، و يشحذون نحوه الهمم، و يستثيرون العقول والأفئدة، و يستنطقون التاريخ والحياة، ويخطّطون للمعيش والمستقبل، وهم يطوون في وعيهم خط المساحات الثلاث الآنفة الذكر وصولاً الى تحقيق أهداف الرسالة كاملة واضطلاع الأُمة بمسؤولياتها التي اختارها الله لها.

ولايمكن لهؤلاء الهداة المبلّغين، إلّا أن يكونوا مهتدين أصلاً، ليستطيعوا هداية الآخرين الىٰ ماهم مهتدون به وإليه، كما أن كونهم مهتدين يكلّفهم و يلزمهم هداية غيرهم. ومن هذا التكليف يتشكّل التزامهم الاجتماعي، إذ ليس بمقدور مسلم أن ينعزل أو يعتكف عن سائر الأُمة ليصل الىٰ الجنة وحده. «فالمجتمع يشكّل علّة مادية»[٢٧٤] لعمل المستنهض الذي يفقد أيَّ مبرِّر له إذا لم يكن «حاملاً لعلاقة مع هدف وغاية، (ولم يكن) في نفس الوقت ذا أرضيةٍ أوسع من حدود الفرد، وذا موجٍ يتّخذ من المجتمع علّة مادية له، وبهذا يكون عمل المجتمع»[٢٧٥].

في مدىٰ الرؤية هذه نقرأ العلاقة التكافلية التضامنية بين المُسْتَنْهَضين والمُسْتَنْهِضين، و بين ما تحدَّث عنه القرآن في صيغة «كتاب الأُمة» و «كتاب الفرد» من خلال قوله تعالى: «**وترىٰ كُلَّ أُمةٍ جاثِيةً كُلُّ أُمة تُدعىٰ الى كتابها اليوم تُجْزَون ما كُنتم تَعمَلون * هذا كتابُنا ينطقُ عليكُمْ بالحقِّ إنّا كنا نَستنسخُ ما كُنتم تَعمَلون**»[٢٧٦]، وقوله تعالى: «**وكُلَّ إنسانٍ ألزَمناهُ طائِرَهُ في عُنُقِهِ ونُخرِج لهُ يومَ القيامةِ كِتاباً يَلقاهُ مَنشوراً * آقرأ كتابَك كفىٰ بنفسِكَ اليومَ عليك حسيباً**»[٢٧٧] وعندما يحمل عمل المُسْتَنهِض في مُسْتَنْهَضيه روحاً تغييرية علىٰ أساس التصويب والتقويم، أو علىٰ أساس الإصلاح أو الثورة، فإنَّ هذا العمل يتفتَّح علىٰ بُعد تاريخي باعتباره عملاً نوعياً ينعكس علىٰ مسيرة الأُمَّة، فيصبح مدَّاً ظاهراً، وحافزاً إنبعاثياً تستجيب له فيتمثَّل في كتابها، وتستفيد من مفاعيله ونتائجه ليغدو موضوعاً للسنن التاريخية[٢٧٨]، أي قوانين اللّه في عباده.

وفي مدىٰ هذه الرؤية أيضاً نقرأ دور الداعية المبلِّغ في دور الأُمة وحضنها بما هما دوران متكاملان ديناميان. ففي الوقت الذي يكون فيه الداعية داعياً فهو مدعوٌّ أيضاً، وفي الوقت الذي تكون فيه الأُمَّة مدعوَّة فهي داعية أيضاً، بتجذُّر وانتشار «عدوىٰ» الرسالة في نسيج خلاياها وأجزائها، بما هي رسالة تقدُّمية متجدِّدة من خلال ثوابتها الإلٰهية و «كلُّكم راع وكلكُم مسؤول عن رعيَّته» وفاق قول رسول اللّه(ص). ولعلَّنا لانبالغ إذا زعمنا أن الداعية هو أُمة في رجل، تتجسَّد فيه، و يذوب فيها، علىٰ قاعدة من التوحُّد الغائي والمشاركة في الهمِّ والمصير والمسيرة، بحيث كلَّما تحقَّق على دربها هدف أو اهتدت الىٰ حقيقة، انتقل كلٌّ من الداعية والأُمَّة، أو كلاهما، الىٰ هدف أسمىٰ وحقيقة أكبر.

بهذه الدلالات لايكون المستنهضون والدُّعاة الإسلاميون مجرَّد «كادرات حزبية» ــ بالمعنىٰ التقليدي للعبارة ــ ولا وسطاء أيديولوجيين، ولا تكنو قراطيين إعلاميين، بل هم تراجمة إلٰهيون، ومربُّون للأُمة، ورساليون إنسانيون، ونموذج حضاري للمسلم الحقيقي الذي لايرىٰ في غير العبودية للّه معنىً لخلقه ووجوده علىٰ هذه الأرض، ولايجد خارج الإسلام مشروعاً فيه ضمان لخير الإنسانية وسيادة الحق والعدل بين الناس. ولذلك ارتضىٰ الإضطلاع بمسؤوليات جسام والتصدِّي لأصعب المهمات نظراً لضخامة الأمانة وحجم الصعوبات والموانع.

علىٰ صورة الإمام الخميني ــ إذن ــ كان مثال المُسْتَنْهِض الإسلامي، وبالمواصفات والشروط التي عرفناها في الإمام ــ رضوان اللّه عليه ــ وقد كانت حوله ثلّةٌ من التلامذة والعلماء والشباب أخذوا على عاتقهم حمل الرسالة وتبليغها مهما تكن التضحيات فنالهم منها الكثير؛ اغتيالاً وسجناً ونفياً وتشريداً ومرارات شهيرة مشهودة قبل أن تؤتي جهودهم أُكُلها، فكانوا خير قدوة لخير قضية.

لقد أدرك الإمام منذ البداية المدىٰ الكبير للمسؤولية التبليغية فقال: «إن مسؤوليتنا اليوم، في الوقت الذي تتعاون فيه كلُّ قوىٰ الإستعمار وعملائه وحكّامه الخونة، والصهيونية، والمادية الملحدة، علىٰ تحريف وتشويه الإسلام، هذه المسؤولية اليوم أكبر منها في أيِّ وقت مضىٰ»[٢٧٩]. إلّا أنَّه توجَّه الىٰ علماء الإسلام أساساً لأسباب باتت في أذهاننا بمثابة المسلَّمات، ولعلَّ في طليعتها ذلك الإخصاب الثقافي والرسالي الذي تنامىٰ في المشرق الإسلامي علىٰ أيدي الفقهاء والعلماء علىٰ مدىٰ أحد عشر قرناً، إذ «لانجد هكذا حياة مستمرَّة لثقافة من الثقافات طوال أحد عشر قرناً من الزمان، بل لايمكن أن نجد دواماً ثقافياً بالمعنىٰ الواقعي، وبروح وحياة واحدة بدون انقطاع.. طوال هذه

القرون المتمادية إلّا في الحضارة والثقافة الإسلاميتين. وإذا كنا نرىٰ في سائر الحضارات والثقافات سوابق أطول، لكنها كانت تنقطع وتتوقّف ثم تجد حياتها مرة أُخرى»(٢٨٠). وقد أورث ذلك خزيناً فكرياً ثرّاً تناقلته الأجيال التي تخرّجت من المؤسسات العلمية الإسلامية، وتحمّلت تبعات حفظ الإسلام الأصيل علىٰ مرّ الزمان. فظل العالِم الديني محتفظاً بدور مرموق وقيادي، وعلىٰ تماسٍّ مستمرٍّ بحياة الناس وهمومهم وشؤونهم، ولو في حدود متفاوتة من الاستقلالية في الموقف والقرار، في ظروف الصراع غير المتكافئ الذي لم ينقطع مع سلطان الحكّام الساعين دائماً الى احتواء العلماء واستتباعهم وإخضاعهم، وفي مواجهة هجوم الأيديولوجيات الوافدة وتقديماتها الحضارية التي أعشت العقول والأفئدة وأمعنت في تشتيت الرؤى والصفوف.

يقول الإمام الخميني في هذا السياق: «إن الإسلام قد صِيْنَ وحوفظ عليه، من البداية الى اليوم، بسواعد علماء الدين الكرام. فهم الذين قاموا بشؤون علوم الاسلام، وقدّموا الأدلّة والبراهين علىٰ حقّانية الإسلام وصدق فلسفته.. وهم الذين برهنوا علىٰ سموّه الأخلاقي بفضل التزاماتهم العرفانية المجيدة، وهم الذين حافظوا علىٰ الفقه الإسلامي، وحفظوه من التحريف والتشتّت، وهم الذين دافعوا عن سياسته، وحافظوا علىٰ خططه من الضياع والانحراف. كل ذلك إنّما بقي محفوظاً الىٰ اليوم بفضل الطاقات الضخمة التي بذلها العلماء الروحانيون، علماء الدين العظام»(٢٨١).

لم تكن المواصفات التي أكّد الإمام ضرورة تحلّي المُسْتَنْهِضين بها خارجة عن مثال الداعية/النموذج الذي وصفناه، وهي نفسها التي طالما تميّز بها المبلّغون الإسلاميون في التاريخ منذ قيام البعثة النبوية الشريفة، والتي تمثّلت ــ خصوصاً ــ في علماء الدين، أو ــ علىٰ الأقل ــ

افتُرض تمثُّلها فيهم وأهمُّها السعة في العلم والوعي، مع مايستدعيه ذلك من معرفة معمَّقة بالعقائد والأُصول والأحكام الإسلامية، و بالنفس الإنسانية وأسرار فطرتها وقابلياتها وفاق المنظور الإسلامي، وآقتران العلم والمعرفة الهادين الغائيين، بالتطبيق العملي، إذ «لاينفع العلم بدون العمل. العلم والعمل جناحان يرفعان الإنسان الىٰ درجة الإنسانية» ــ بتعبير الإمام ــ[٢٨٢]. يُضاف ذلك الىٰ ضرورة التحلّي بالفضائل والقيم الأخلاقية الإلٰهية، والقدرة علىٰ استقطاب الناس وإقناعهم والتأثير فيهم وإرشادهم الىٰ سواء السبيل، وفاق المعايير التي سبق تحليلنا لها.

ولاريب في أن هذه المواصفات ــ متكاملةً ــ لابدَّ من أن يرافقها إيمان المُسْتَنْهِض اليقيني بتفاصيل مشروع الإستنهاض الذي يرفع لواءه والمتجلّي في «العقائد والأهداف الإسلامية السامية التي تستند أُصولها ومبادؤها الى الفطرة الطاهرة والعقل الانساني السليم»[٢٨٣]. و بذلك يتحول المستنهِض الى قدوة ومركز استقطاب وجاذبية للمستنهَضين، بحيث يطمئنون الى أنهم قد وجدوا في المستنهِض ضالّتهم[٢٨٤] وأُسوتهم الحسنة ومصداقيَّة مايدعوهم إليه، فتنجح عملية إعادة صناعة الإنسان فيهم و ينقادون إليه ماداموا قد لمسوا فيه «الأهليَّة والإخلاص ونكران الذات»[٢٨٥]، و يتقبَّلون التسليم بقيادته. وعلىٰ هذا يكون قد أدَّىٰ الأمانة الإلٰهية التي تعهَّد بإيصالها الىٰ الهدف، وأنفذ فعل هذا التعهد بجعلها خبزاً يومياً للأُمة، ومَعيناً لاينضب تنهل منه وتتزود في مسيرتها الشاملة.

ولن يكون في وسع العلماء المستنهِضين «قيادة الأُمة الىٰ الصلاح»[٢٨٦] المنشود إلّا بعد أن يكونوا قد آستوفوا مهمة إصلاح أنفسهم وهيئاتهم ومجامعهم الدينية[٢٨٧]، فتنضج عوامل مبايعتهم

والتأسّي بهم، وتستتمُّ شروط شرعية تحرّكهم وقوته بتوحّدهم في الناس. وماتلك القوة إلّا استمداد من قوة المستنهَضين وليست راسخة إلّا بها: «إنَّ قوة العلماء مستمَدَّة من قوة الشعب، لذلك فهي راسخة لا تتزعزع»[٢٨٨]، وباتحاد هاتين القوتين المتصعِّدَتَينِ من وحدة المشروع الإحيائي الذي يضطلعان به، يكمن سرُّ انتصاره. وها هو الإمام يؤكّد على الدعوة الى تلك الوحدة الشاملة قائلاً: «يجب أن تعمل جميع القوىٰ الإسلامية من العلماء الأعلام والخطباء الكرام وطلبة العلوم الدينية والجامعيين والشباب الأعزاء والتجار المحترمين والعمال والفلاحين الشرفاء الواعين، وجميع التنظيمات والأحزاب السياسية... يجب أن تعمل كلُّ هذه القوىٰ بقلب واحد لتوعية ضباط الجيش والشرطة، وتشاركهم في إسقاط هذا الشاه المجرم، وتحرير هذا الشعب من هذا الظالم الباغي»[٢٨٩]، وذلك كهدف مرحلي علىٰ طريق تحقيق الهدف الأكبر، وهو إقامة الحكم الإسلامي وبناء السلطة القادرة علىٰ تلبية احتياجات الجماهير الأساسية[٢٩٠] استناداً الىٰ «المثل الأعلىٰ الوحيد.. وهو عصر الرسول العظيم(ص) وعهد الإمام عليّ بن أبي طالب(ع)»[٢٩١]. «فمن أجل نيل هذه الأهداف يجب أن تعمل جميع فئات الشعب بقلب واحد واستراتيجية واحدة، وأن ترفع الشعارات المراعية للزمان والمكان»[٢٩٢].

وإذا كان الإمام يعتبر علماء الدين، والشباب منهم خاصة، عماد فعل الاستنهاض وطليعته الحيّة، فإنّه كان يرىٰ أيضاً الى شريك نوعي آخر قوامه الطلبة الجامعيون والمثقفون الإسلاميون باعتبارهم قادرين ومؤثّرين في دفع النهوض قُدماً بما يملكون من ثقافة ووعي والتزام، فيوصي العلماء بالتعاضد والتآخي والتكامل مع هؤلاء: «مدُّوا يد الأُخوة الى إخوانكم المثقّفين والجامعيين.. قفوا الى جانبهم، وتعاونوا جميعاً علىٰ

العمل من أجل البلدان الإسلامية، فإنّها علىٰ حافة الهلاك »[٢٩٣].

علىٰ هذا التآخي الإسلامي عقد الإمام أبلغ الآمال محدّداً دوره ومهماته إذ يقول: «إنني أعقد أبلغ الآمال ــ وأنا في منفاي الثاني ــ علىٰ جهود الشباب المسلم من علماء دين وجامعيين، وأتوقع أن يتمكنوا، بعد تهذيب أنفسهم وإخلاص نياتهم، من التعمُّق في الدراسة والبحث في سبيل معرفة الشريعة الإسلامية وأُسسها النيِّرة، وأن يعرِّفوا الإسلام للناس علىٰ حقيقته، وأن يوقظوا الأُمة و يبيِّنوا.. أوجه الفرق بين الإسلام الذي أتىٰ به رسول الله(ص)، والإسلام المزيَّف»[٢٩٤].

وفي السياق نفسه يقول أيضاً: «يجب عليكم ــ أنتم شباب الإسلام الواعي وأمل أُمتكم الإسلامية ــ توعية الجماهير وفضح أدوار المستعمرين وخططهم المشؤومة.. إبذلوا مزيداً من الجهد في سبيل معرفة الإسلام، وادرسوا تعاليم القرآن المقدَّسة جيداً، وطبِّقوها، وزيدوا من سعيكم وإخلاصكم من أجل نشر الإسلام وأهدافه الكبرىٰ وتعريف الأُمم الأُخرى بها.. ومزيداً من الإهتمام بمسألة الدولة الإسلامية والمسائل المتعلقة بها.. كونوا مهذبين ومدرَّبين.. إتحدوا وتنظَّموا ورصُّوا صفوفكم، واسعوا لتكوين الإنسان المضحّي المتوافق معكم فكرياً..»[٢٩٥].

هكذا تتحرَّك دائرة الإستنهاض الإحيائي منطلقة من الإسلام علماً ووعياً به ومنه وله، وأخلاقية في العمل به، خروجاً الى ميدان الإستنهاض الكبير وهو الأُمة فالعالَم، بحيث تكون معرفة الإسلام والعلم به نقطة مرجعية؛ فالعلم أقوىٰ داعية الىٰ العمل الذي يدور في جميع شؤونه مدار العلم، يقوىٰ بقوته، و يضعف بضعفه، و يصلح بصلاحه، و يفسد بفساده.[٢٩٦] وإذا ما انضبطت المعرفة والعلم بالإسلام و بالقيم الأخلاقية الإسلامية، فإنَّ العمل والتطبيق لايحيدان عن الأهداف التي

يرتقي إليها العلم. و بالتالي فإنَّ التبليغ/العمل، أو الإستنهاض/الفعل، لايكونان إلّا في خدمة هذه الرسالية المعرفية والارتفاع بالأُمة إليها.. ثم بالعالم. ولايبلغ المستنهِض الغاية إلّا بالعودة الىٰ مرجعية العلم بالإسلام والتخلُّق بأخلاقه ليتزوَّد بالمزيد من الوعي والمعرفة والحصانة الأخلاقية، وليتابع استنهاضه بوعي أعمق وثقافة أشمل توصُّلاً الىٰ هدف/حقيقة أسطع. و بذلك، لايفارق الاغترافُ المعرفيُّ الداعيةَ في حركته كلِّها، فإذا هو في كل دورة من دوائرها متجدِّد مرتقٍ ضابط لمساره، ومحصِّن له من الإنحراف والتشتُّت والضياع، فتبقىٰ أهدافه نصب عينيه باعثة لكلِّ أنشطته ومحفِّزة لكلِّ طاقاته.

ولايكتفي الإمام بهذه التعاليم والوصايا العامة، لكنَّه، في الكثير من الأحيان، يخوض في وضع خطط شاملة وضوابط دقيقة لتوجُّهات المستنهِضين: «عليكم أنتم الشباب الواعي.. أن تضعوا الإسلام وأحكامه في مقدمة أهدافكم، وانَّ تحقيق هذا الهدف السامي لايتمُّ أبداً بدون الوصول الى الدولة الإسلامية العادلة»[٢٩٧]، وبما أن التولّي والتبرُّؤ هما أصلان أساسيان في الإسلام، فإنَّ على هؤلاء المستنهِضين أن يؤيِّدوا الدولة العادلة، و يلتفُّوا حول الحكم العادل، وأن يتبرَّأوا من النظم اللّاإسلامية، و بدون ذلك لايمكن لهم أن يحقِّقوا الاستقلال والحرية[٢٩٨].

وفي أُصول التعاطي مع الخصوم العقائديِّين أو المتأثرين بالأيديولوجيات المضادة، يطلب الإمام من المستنهِضين الإسلاميين المبادرة الى دعوة «كل الذين يخالفون الإسلام، عقيدة وعملاً، والذين ينسِّقون مع المدارس الأُخرى ويميلون إليها.. الىٰ مدرسة الإسلام التقدمية العادلة»[٢٩٩]. أما من ينكص علىٰ عقبيه منهم ولايقبل الدعوة فـ «عليكم أن تتبرَّأوا منه، أو تحذروه علىٰ الأقل، مهما كانت

منزلته ومكانته»[٣٠٠]، لأن الإمام يعلم حق العلم أنَّه «مالم توجد عقيدة التوحيد وروحها في شخص، فإنَّه من المستحيل ان يتخلّى عن ذاته و يعطي كلَّ فكره للأُمة»[٣٠١].

«ومن أظلمُ ممَّن آفترىٰ علىٰ اللّه الكذبَ وهويُدْعىٰ الى الإسلامِ»[٣٠٢]. **«اللّهُ أكبرُ من مَقتِكم أنفُسَكُم إذ تُدْعَونَ الىٰ الإيمانِ فتَكفُرون»**[٣٠٣].

ومع كثرة أعباء المستنهضين واختلاف أنشطتهم وتنوُّعها، فإنَّ الإمام لاينفكُّ يُؤكِّد ضرورة التزوُّد المستمر بذخائر العلم والمعرفة والثقافة الإسلامية وتوسيع آفاق وعيهم بها، وتثبيت انتمائهم إليها وتعميق اعتقادهم بأُصولها، وتوثيق اطلاعهم على تاريخها وتجاربها، والتكريس الدائم لقيمها في أرواحهم وعقولهم، بحيث «يصرف الشباب الجامعي وطلبة العلوم الدينية الشباب قسماً من وقتهم لمعرفة أُصول الإسلام الأساسية، وفي مقدمتها: التوحيد والعدل ومعرفة الأنبياء الكبار (أنبياء أُولي العزم) واضعي حجر الزاوية للعدالة الاجتماعية والحرية الحقَّة، آبتداءً بإبراهيم الخليل، وانتهاءً بخاتم الرسل والأنبياء محمد(ص)، وفي معرفة طرق تفكيرهم في مجالات العقيدة والسلوك الفردي والتنظيم الاجتماعي، لكي يتعرَّفوا علىٰ مواصفات الأشخاص الذين اختارهم الإسلام لدولته العادلة، وعلى مواصفات الأشخاص الذين رفضهم وطردهم من دولته وكل متفرعاتها»[٣٠٤].

وليس هذا التردد الأُصولي والمرجعي الى مصادر الإسلام وعقائده وتاريخه مسألة ثقافية تراكمية بحت، إنما هو «تعميد» معرفي لترسيخ فعل الإيمان بالإسلام وتطويره باستمرار في نفوس طليعة الإستنهاض «ليلتزموا بأحكام الإسلام بجميع أبعاده»[٣٠٥] و يتيقَّنوا بأنفسهم، بأن الخلاص والحرية الحقيقيَّين غير متحقِّقين إلّا بالمشروع الإسلامي، و بأنَّ

العدالة الاجتماعية الإلٰهية التي حملها، هي وحدها الكفيلة بعتق الخليقة من نير الظلم والاستعباد، والتوزيع المتوازن والعقلاني، فيقول الإمام: «عليكم أنتم، طلبة الجامعات، وسائر طلبة العلوم الدينية... أن تلتزموا بأحكام الإسلام بجميع أبعاده، وأن تطمئنوا الى احتوائه كلَّ مايحقق صلاح المجتمع في تحقيق العدالة الاجتماعية، ورفع الأيدي الظالمة، وتأمين الاستقلال والحرية والحلول الاقتصادية وتعديل ميزان الثروات بصورة منطقية ومقبولة. فكل ذلك موجود في الإسلام بصورة كاملة، ولايحتاج الىٰ تأويل خارج حدود المنطق»[٣٠٦]. وإذا ماتحصَّلت هذه الطمأنينة بكمال المشروع الإسلامي للعالَم لدىٰ المستنهِضين، فمن البديهي أن يسعوا ويجدُّوا في نقلها الى الأُمة المستنهِضة فتستعيد بذلك كبرياءها وثقتها بصلابة وعصمة عقيدتها وكمالها، «فإنَّ في هذا تقوية للروح المعنوية، وإضعافاً لمعنويات العدو واهتزازاً لكيانه»[٣٠٧].

علىٰ مدىٰ هذه المتابعات والتداعيات الإحيائية التأسيسية، لم يغادر الإمام الخميني ــ كما رأينا ــ أيّاً من شروط المستنهِض الإسلامي النموذجي ومواصفاته، والإمام قمة الهرم الإحيائي، إلّا وأحصاه عندما راح يؤكِّد لزوم تشبُّث المستنهِضين بالمصداقية والصدق مع الذات والآخرين، باعتبارهم هداة الىٰ الحق ودعاة للحقيقة، وذلك بغية تحصينهم من السقوط، تحت ضغط الصعوبات واحتدام الصراع مع أعدائهم، في الذرائعية الأيديولوجية والتلفيق السياسي بحيث تفترس الوسيلة المباحة غايتها، و يَحْرِف ارتفاع حماس تحقيق الانتصارات السريعة و يضل عن الأمانة في القول والتعبير والحجة، ويحجب السبل المشروعة في التعبئة الأخلاقية وأخلاقية التعبئة. ففي الإسلام، لاوصول الىٰ حقٍّ عن طريق باطل، ولا إحياء لحقٍّ بإحياء باطل. والحق والحقيقة، أولاً وآخراً، رائدا الاستنهاض. يقول الإمام: «كونوا أشدَّاء

أقوياء في بيان حجَّتكم للناس لتغلبوا عدوَّكم بكلِّ أسلحته وعساكره وحرسه.. بيِّنوا الحقائق للجماهير واستنهضوها»[٣٠٨]، «وقد غدا صعباً على الداعية المسلم أن يعرِّف الناس بالإسلام، وفي قبالته يقف صفٌّ من عملاء الإستعمار ليأخذوا عليه الآفاق عجيجاً وضجيجاً»[٣٠٩]... فالمستنهِض «يقود عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تستتبع أن يقتدي الناس به بمجموعهم»[٣١٠]، وبالتالي فإنَّ عليه أن «لايُفرِّط ــ على الأقل ــ في إظهار الحقائق»[٣١١]، وقد قال تعالى: **«وأنَّ ما يَدعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الباطِلُ»**[٣١٢].

وإذا كان توحُّد المستنهِضين في الناس، وتوحُّد مكوِّنات المجتمع وعناصره ــ في الاستجابة لطروحاتهم وتلبية دعوتهم ــ أساسيَّين في توفير أسباب تحقيق الأهداف والوصول الى النصر، فإنَّ وحدة المستنهِضين أنفسهم شرط ضروري لذينك التوحُّدين. وقد كان من الطبيعي، أن يعمل الإمام على إبقاء المستنهِضين بنياناً مرصوصاً في انشداده الى وحدة المشروع الإحيائي التوحيدي، وتوحيد لغتهم وشعاراتهم وحركتهم وأنماط انخراطهم التبليغي. إذ ليس ثمة مايبرِّر نشوء الاختلافات فيما بينهم، طالما أنهم يحملون المشروع نفسه والقضية نفسها، ويجاهدون لتحقيق ذات الأهداف، ويقاومون أعداء مشتركين، ناهيك بما تؤدِّي إليه الإختلافات، التي يعتبرها الإمام «سرطاناً مدمِّراً»[٣١٣]، من العواقب والمضاعفات التي تهدِّد وتفسد كلَّ شيء... ولذلك ما آنفكَّ يدعو الى وحدة المستنهِضين المطلقة: «تجنَّبوا الاختلافات بصورة مطلقة وحتمية، لأنها تسري كالسرطان المدمِّر.. إنَّها تشلُّ النشاطات، وتنسي الهدف الأساسي، وكثيراً ماتسبِّب في تغيير المسار، وتدفع بالمسيرة الى غير الهدف... أُطردوا الأشخاص الذين يثيرون الاختلافات، أو الذين يتمسَّكون بها لأنهم إما من المدسوسين، وإمَّا من ذوي الأغراض

السيئة»[٣١٤]... «فلتكن قلوبكم حديدية.. رصُّوا صفوفكم، ووحِّدوا كلمتكم، وكونوا من الذين قال الله في حقِّهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٣١٥].. إنهضوا للثورة والجهاد والإصلاح..»[٣١٦].

قواعد الإسلام والاستنهاض

إذا كان المستنهِضون الإسلاميون هم عقل الأُمة ونبضها، فالمساجد والمجامع والمناسبات الدينية هي قواعد حركتها ومراكز اجتماعها وفعلها الجمعي اللّذين يتجاوز المسلم فيهما «أناه» الفردانية، حتىٰ علىٰ مستوى العبادة ذات البعد الشخصي، ليصبح الـ «نحن» و يتخذ فيها المسلمون صفة «مُصَغَّرِ» الأُمَّة، فلا يعودون مجرد أفراد متفرّقين «شعائريين» فحسب، بل يتحوّلون الى «حالة» توجّه بالعبودية «المعمَّمة» للّه، منقطعين عن عبادة غيره، وفاق قوله تعالى: «**وأنَّ المساجدَ لِلّهِ فَلا تدعُوا مَعَ اللّهِ أَحَداً**»[٣١٧].. «**وأَقِيمُوا وُجوهَكُم عِندَ كلِّ مسجدٍ وٱدعُوهُ مُخلصينَ لَهُ الدينَ كما بَدَأَكُم تَعُودُونَ**»[٣١٨].

وهذا «الاستدعاء» ليس بشريّاً علىٰ الإطلاق، قرّره شخص متوجهاً الىٰ شخص آخر أو الى جماعة، لكنه ٱستدعاء إلٰهي. وعندما يكون الاستدعاء إلٰهياً، فإنّه يعني استدعاء الىٰ المشروع الإلٰهي الشامل.. أي الىٰ الإسلام بكلّيته، والىٰ المسلمين كافّة، و بالتالي فهو استدعاء جمعي مقدّس الىٰ مناسبات مقدّسة وأمكنة/قواعد مقدّسة. وليس عبثاً أن يكلّف المدعوون بتلبية الدعوة طاهرين متطهّرين جسداً وروحاً «**يَخافُونَ يوماً تَتَقلَّبُ فيهِ القُلوبُ والأَبْصارُ**»[٣١٩]، في قواعد طاهرة يهبُّون منها قياماً جوّانياً وخارجياً للعزّة الربانية، محيين شعائرهم،

ومنخرطين في شعاراتها ومشروعها، ارتقاءً عمودياً في التكامل معها.

وفاق هذه الأبعاد الإحيائية المشرعة على المطلق «تَتَأَنْسَنُ» تلك القواعد فوق المكان والحجر والتقنيات المعمارية والمادية والتاريخ لتصبح استنهاضية، لأن البشر هم الذين يحرّكونها و يتحرّكون من خلالها حركة خالصة للّه، بعيدة عن اختراقات الداخل النفسي الشيطاني والخارج الطاغوتي، «**يُذكَرُ فيها آسمُهُ يُسبِّحُ لَهُ فيها بالغُدوِّ والآصالِ * رجالٌ لا تُلهِيهِم تِجارةٌ ولابَيعٌ عن ذِكرِ اللّهِ وإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاة**»[٣٢٠]. فهذه القواعد هي بيوت له، وهي بيوت للجماعة الإسلامية أيضاً، منها أقامت نهضتها صلاة ومحافل دينية، وسيَّرت شؤونها العامة، وانبثقت مؤسساتها الزمنية، وشعَّ قضاؤها وعلمها وتعليمها، وفيها تكوَّنت شبكة وصلها واتصالها وتواصلها بالأُمة وسياستها، وانعقدت عند محرابها رايات حربها وسلمها ومعاهداتها، وحولها ومن خلالها تنامى الإسلام واضطردت مسيرته ودخل الناس فيه أفواجاً وأفراداً، فزحفت هذه القواعد الى العالم والجماعة الإسلامية وراءها[٣٢١].

وبمعنى آخر يمكننا القول إنَّ هذه القواعد، في تاريخها وحضورها الدائم في قلب شؤون الأُمة كافَّة، وحضور الأُمَّة فيها، وفي طهارتها وقداستها ورموزها، هي كتاب الإسلام العملي وفعله الروحي ومركز دعوته وتجلٍّ أساسي من تجلّيات كون «عباداته توأم سياساته وتدبيراته الاجتماعية، فصلاة الجماعة مثلاً واجتماع الحج والجمعة يؤدّيان ــ بالإضافة الى ما لهما من آثار خلقية وعاطفية ــ الى نتائج وآثار سياسية»[٣٢٢] ولذلك «استحدث الإسلام هذه الاجتماعات، وندب الناس إليها والزمهم ببعضها حتى تعمَّ المعرفة الدينية، وتعمَّ العواطف الأخوية، وتتماسك عُرى الصداقة والتعارف بين الناس، وتنضج الأفكار وتنمو وتتلاقح، وتبحث المشكلات السياسية والاجتماعية وحلولها»[٣٢٣].

من بساطة هذه العبادات السياسية، والسياسات العبادية، تتخذ القواعد بساطتها، ومن خشوع قلوب المؤمنين وخلوص نواياهم الى الله تخيِّم هيبتها ووقارها، ومن تآخيهم وتقواهم واصطفافهم عند قبلتها ووحدتهم وتفاعلهم، تتفعَّل حيويتها، ومن تكامل فرديتها وجماعيتها تستمدُّ تلك القواعد انصهارها في الجماعة وتكاملها معها، فمن بحر الأُمَّة تغرف وتقدِّم، ومن دورها ترتفد حركة الأُمة شرعيتها وبركات سعيها الإلٰهي.

خصوصية موقع هذه القواعد والخلايا الاستنهاضية مستمَدَّة من خصوصية العلاقة بين العابد والمعبود في الإسلام، ومن تكامل الفردي والاجتماعي فيه، ومن توحُّد الذات والموضوع في المشروع الحضاري الإسلامي، وعلىٰ رؤوس الأشهاد بعيداً عن أية أسرار كهنوتية أو توسُّطات تهتك روحانية الارتباط بين الله تعالى والإنسان. فاندفاعات المسلم الىٰ تلك القواعد هي مجموعة من الحوافز التي تفيض من جوّانيته وباطنه، ومن الرغبات التلقائية ــ اللّاإرادية أحياناً أو في لحظات التدفُّق الروحي الخاص ــ فتجعل «الذهاب الى الحج من أغلى أماني الحياة، وتحمل المرء تلقائياً على حضور الجماعة والجمعة والعيد بكلِّ سرور وبهجة»[٣٢٤].

لقد أدرك الإمام ــ وهو إمام حركة الاستنهاض ــ أهمية الدور الإنبعاثي لقواعد الإسلام وخلاياه تلك، فتوجَّه الى استدرارها والإفادة من جهوزيتها لتزخيم مسيرة النهضة وتنظيمها وادارة أزمَّتها، واستنهاض الأُمَّة وإعادة الحياة الىٰ بدنها المنهك، واعتبر حركة الجماعة الإسلامية فيها، وارتباطها بها، وتقديسها لها «فرصاً ذهبية لخدمة المبدأ والعقيدة»[٣٢٥] بهدف تبيين «العقائد والأحكام والأنظمة علىٰ رؤوس الأشهاد، وفي أكبر عدد ممكن من الناس»[٣٢٦] وإعادة الأُمَّة الىٰ ذاتها

وإقامة حكم اللّه في الأرض، متوقّفاً عند خصوصية كلّ قاعدة لينطلق منها الىٰ الشؤون العامّة للأُمة، هادياً ومربّياً ومرشداً، من الحجّ، الىٰ الأعياد الدينية، الىٰ عاشوراء شهر محرم... الخ، فلا يترك صلاة جماعة أو مناسبة جامعة إلّا واستخدمها في الدعوة الىٰ الإسلام ومشروعه العالمي الرحماني، مستلهماً من كلّ قاعدة أو مناسبة عِبَرَها وتاريخها ودروسها، معبّئاً ومثقّفاً ومحرّضاً، داعياً المستنهِضين الى بذل وسعهم في الإفادة منها وفاق منهجه، فتحوّلت هذه القواعد، بعد حين، مراجل حامية تغلي بالغضب وتتمخّض بالثورة، عندما أسترجعت كلُّ عبادة من عبادات الإسلام حقيقتها في كونها ممارسة لفعلين متكاملين: أحدهما شخصي وثانيهما اجتماعي سياسي (٣٢٧).

والجدير بالإلفات علىٰ هذا الصعيد، أن المشكلات التي تعاني منها عادةً حركات الاستنهاض والتغيير في العالم علىٰ مستوى الإتصال وتنظيم الصفوف والعلاقة الرابطة بين الجماهير وقيادتها، ليست مطروحة ــ بذات الحدة علىٰ الأقل ــ في دورة الاستنهاض الإسلامي، وكما قادها الإمام الخميني، وذلك من خلال ارتباط المستنهَضين بأئمّة القواعد في المساجد من المستنهِضين المرتبطين بدورهم بالمرجع الديني المستنهِض، مما كان له أبلغ الأثر في تشكيل شبكة تنظيمية وعلاقات أتصال وتنسيق دقيقين بين القاعدة الشعبية وقائدها و بتكامل لاانقطاع فيه (٣٢٨).

وتأتي في طليعة قواعد الاستنهاض؛ المساجد التي قال الإمام فيها «إنها وحدها التي لم تحمل أسماء أجنبية» (٣٢٩)، فهي «قلاع الإسلام الحصينة» (٣٣٠)، ولطالما حضَّ الناس على قطع هجرتهم عنها والمحافظة عليها (٣٣١)، وذكّرهم بتاريخها الجهادي ودورها في توحيد الأُمَّة وخدمة قضايا الإنسان في العالم قائلاً: «لقد أنطلقَت، منذ صدر الإسلام الى

اليوم، كلُّ الحركات من المساجد. فالمسجد هو الذي أوجد القوة الموحَّدة ضد الكفار والمشركين.. بهدف قطع أيدي الشرك والكفر ولدعم المستضعفين ضد المستكبرين»[٣٣٢]. كما كان للإمام موقف تجديدي في تأكيده على إعادة الروح الى صلاة الجمعة الجامعة في المساجد، فأعاد الى أذهان المسلمين دورها المجيد في الإحياء والاستنهاض والجهاد، مستذكراً دروسها والعِبَر، في التوعية والإرشاد وقيادة المسلمين الى النصر: «لم تكن الخطب التي تُلقى في الجمعات والأعياد والمواسم الأُخرى قصراً على وعد ووعيد بجنة أو نار ــ كما نرى اليوم ــ بل كانت الخطب تصل في إيحائها وتأثيرها الى إعداد الناس للقتال.. وقد تؤدّي الى انطلاقهم الى جبهات القتال من باحات المساجد والجوامع من دون أن يأخذهم في ذلك خوف من فقر أو مرض أو موت، لأنهم كانوا يخافون الله وحده، ولا يخشون أحداً إلاّ هو، ولمثل هؤلاء يُكتَب النصر، ولمثل هؤلاء يُكتَب الفتح.. ولو كانت الجمعة مستمرة الى يومنا هذا بخطبها وحماسها وروحها وآفاق التفكير فيها، لما انتهى بنا الأمر الى الحد الذي ترون.. علينا أن نسعى لإعادة إحياء مثل هذه الإجتماعات، ونستغلّها في التوجيه والإرشاد والتوعية والقيادة الى الصلاح والنجاح. وبهذا يتمُّ للأفكار الإسلامية أن تسع أكبر الميادين، وترتفع الى أعلى الآفاق من غير أن يعلوها شيء»[٣٣٣].

أما قاعدة الاستنهاض الثانية التي اعتمد عليها الإمام الخميني في دعوته على مستوى الأُمة الإسلامية، فهي قاعدة الحج التي أولاها عناية ورعاية استثنائيتين، بحيث خصَّص لها رسالة سنوية منتظمة بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، يوجِّهها الى حجيج بيت الله الحرام و يعرض فيها قضايا الأُمة الكبرى ومشاكلها، مستنهضاً المسلمين الى وجوب التحرُّك الشامل للتصدّي لها، داعياً إيَّاهم الى الوحدة في العمل

والصف والأهداف تحت راية الإسلام للتخلُّص من الظلم والاستضعاف والتخلُّف والتبعية للإستكبار العالمي، والسعي الى تحقيق مامن شأنه تعزيز ونشر قيم الله وأحكامه في الأرض[٣٣٤].

والحقيقة أن هذه الرسائل السنوية بالغة الأهمية، وتحتاج الىٰ دراسة خاصة ومستقلّة نظراً لما تثيره من أُمور وشؤون المسلمين والمستضعفين في العالم، ومن حلول للمشاكل الإنسانية والفكرية والسياسية التي يعاني منها الناس، ولما تتضمَّنه من تعاليم و برامج جهادية تصبُّ كلُّها في خدمة المسلمين والإنسان، وتحديد واجبات المسلمين والتزاماتهم في الأوضاع المعقَّدة التي يعيشون فيها أينما كانوا.

لقد كان موسم الحج فرصة نادرة بالنسبة الى الإمام ليوصل حملة استنهاضه الى كلِّ المسلمين في العالم، عبر هذا الاجتماع الإسلامي الحاشد المقدَّس الذي ليس بمقدور أيِّ إنسان، أو أيَّة دولة عقد اجتماع بحجمه وأهميته[٣٣٥]. فأمْرُ الله تعالى وحده هو القادر علىٰ صناعة هذا الاجتماع العظيم الذي لم يحسن المسلمون ــ علىٰ مر التاريخ ــ الإستفادة من قوته السماوية لنفع الإسلام والمسلمين كما يلزم[٣٣٦]. ولذلك تصدىٰ الإمام لهذا الفراغ الحاصل بكلِّ ما أُوتي من عزم وإمكانات لإعادة ربط هذا «المؤتمر الكبير»[٣٣٧] بالأهداف الأصلية التي أراده الله من أجلها، بحيث يستفيد حَمَلة رسالة الله تعالى «من المحتوىٰ السياسي والاجتماعي للحج، بالإضافة الى المحتوىٰ العبادي»[٣٣٨] فلا يكتفون بالجانب الشكلي أو الطقوسي منه ليعودوا بعده فرادىٰ متفرِّقين لايرىٰ الحاجُّ منهم الإخلاص نفسه. يقول الإمام الخميني في هذا المجال: «إعلموا أيُّها المسلمون، أن هذا التجمُّع الكبير، الذي ينعقد كلَّ عام بأمر من الله تبارك وتعالىٰ، يفرض عليكم ــ بصفتكم أُمة مؤمنة ذات عقيدة راسخة ــ أن تبذلوا جهودكم في سبيل

تحقيق أهداف الإسلام السامية وشريعته الغرّاء، وفي سبيل تقدُّم المسلمين وتضامنهم ووحدتهم الشاملة»[٣٣٩]. ولن يكون في مقدور المسلمين الإنتفاع من هذا المؤتمر الإلٰهي، علىٰ طريق الإهداف تلك، إلّا إذا عرفوا كيف يستخدمونه «لتبادل الآراء في حل مشاكلهم العامّة أولاً، ومشاكل بلادهم الإسلامية ثانياً، وليتغرّفوا علىٰ مايحل بإخوانهم المسلمين في بلادهم من أساليب المستعمر، وماذا يجري عليهم من مصائب وآلام»[٣٤٠]، وبذلك يستطيعون تبين معالم طريقهم وحاجات مسيرتهم، ليتجهّزوا، من مركز تحطيم الأصنام في الكعبة، «لتحطيم الأصنام الكبيرة التي تجسّدت في القوى الشيطانية والناهبين المفترسين»[٣٤١]، مقتلعين من أعماق نفوسهم عوامل الخوف والاستلاب والإستسلام لقوىً مستوهَمَة، هي في الحقيقة أضعف بكثير مما تبدو فيه ظاهريّاً.

من هنا، كانت وصايا الإمام للحجيج بالإتّكال علىٰ اللّه والتعاهد فيما بينهم علىٰ «الإتحاد والإتفاق في مواجهة جنود الشرك والشيطان»[٣٤٢]، وتجنُّب التفرقة والتنازع، عملاً بقوله تعالى: «**وَلا تَنازَعوا فتَفشَلُوا وتَذهَبَ ريحُكُم**»[٣٤٣]، «فالإجتماع في الحق، وتوحيد الكلمة، وكلمة التوحيد، هي منبع عظمة الأُمة الإسلامية الموصل الى النصر»[٣٤٤].

إن هذه الطروحات التي رأى الإمام الى موسم الحج من خلالها، هي ــ من غير شك ــ انعطاف مفهومي كبير في اتجاه العودة الى الينابيع والأُصول الإسلامية التي لم تكن عبادة الحج فيها إلّا مصادر طروحات الإمام ومرجعها، فلم يكن الحج أيام النبي(ص) إلّا في الإطار الذي أعاد الإمام رسمه وربطه بالمتغيّرات الزمنية والاجتماعية والسياسية المستجدة، فكان له في رسول اللّه(ص) أُسوة حسنة عندما قام بمفرده

ليرفع لواء التوحيد لصالح المستضعفين، في وجه عبدة الأصنام والمستكبرين «و بالرغم من قلة العَدد والعُدد.. فإنَّه هاجم الطغاة والجائرين بقوة الإيمان وقدرة الإرادة، وأوصل نداء التوحيد الى أسماع العالم في أقلّ من نصف قرن، وعلى أوسع رقعة من المعمورة»[٣٤٥].

وهكذا أعاد الامام وصل عبادة الحج بجذورها لتكون قاعدة ركينة من قواعد الاستنهاض والدعوة على مستوىٰ الأُمة كلِّها.

أمَّا القاعدة الاستنهاضية الثالثة التي أستمسك بها الإمام عروة وثقىٰ، يشد بها النفوس، و يشتد على الظلمة الجبارين، فهي قاعدة الشهر المحرَّم «شهر المصائب والبطولات والكفاح.. وشهر الثورة العظيمة لسيد الشهداء وقائد أولياء الله الذي أعطى بثورته في وجه الطاغوت، درس البطولة والكفاح للإنسان، وأعلن أن طريق القضاء على الظلم وهزيمته، هي مواجهته بكلِّ الإمكانات والقوىٰ والاستعداد للفداء، وهذا هو عنوان تعاليم الإسلام لشعوب العالم الىٰ الأبد» وفاق قول الإمام الخميني[٣٤٦].

لقد جسَّد الإمام نهضته لقضية الحق والحرية والعدل والإنسان، بما هي الإسلام كلُّه، في نموذج نهضة الإمام الحسين(ع) سائراً على هدىٰ ثورته المقدَّسة ودلالاتها وقيمها، مستهدياً بدروسها الثورية في استنهاض المسلمين وخلق جيل مجاهد واع وفدائي، يلهب بحركته الدنيا في وجوه الظالمين والخائبين، و يستنهض الناس الى الوعي والحركة، ويحرِّضهم على الانتفاض والتضحية دفاعاً عن الإسلام ومشروعه المقدَّس[٣٤٧]، فكان لهذا الضخ الحسيني المتدفق في نفوسهم آثاره البالغة، بعد أن عاش المسلمون الشيعة عامة، والإيرانيون منهم خاصة، أربعة عشر قرناً ملاحم عاشوراء حتى أمتزجت بأرواحهم وعقولهم[٣٤٨]، إلّا أنها ظلّت ــ في الغالب ــ مناسبات تميل الى درامية غير موظَّفة في أجتراح وعي جديد،

وصناعة الإنسان المسلم الجديد بحيث تستمر موصولة بنموذجها الجهادي الأصلي لتستنبت منه قياماً إسلامياً دائماً ضد الإنفلات من الحق، والركون الى الظلم، والسكوت على الطغاة، فكان الإمام بمثابة حلقة الوصل المفقودة التي أعادت التحام الأُمة بمشروعها، فتداعت الى الانتظام خلفه ملبّية نداءه المنطلق «من قلب ثقافة الأُمة ومن أعماق روحها، ومن مزيجها الحضاري»[٣٤٩].

وقد دفع بها «الى أن تسبغ الوضوء من ينبوع الحب الإلٰهي»[٣٥٠] فخرجت «مكبِّرة مهلِّلة لتحطِّم عروش الظالمين»[٣٥١]، بعد أن «عاشت طويلاً أمل الإنخراط في زمرة أصحاب الحسين.. فوجدت نفسها فجأة علىٰ مسرح كربلاء وتبوك وبدر وأُحد وخيبر... وجدت نفسها أمام الحسين وجهاً لوجه»[٣٥٢].

ولم يكتف الإمام الخميني باعتماد عاشوراء الشهر المحرَّم مقتصرة علىٰ المناسبة بذاتها، بل عمد الى جعلها بمثابة الحصاة التي تُرمىٰ في المياه الهادئة فتتسع دوائرها الى مالانهاية، إذ دفع بها الى مستوىٰ الفعل الدينامي الذي تتفجَّر منه باستمرار فِعالٌ جديدة بمواصفات نموذجية واحدة ومتكاملة فأسرع الىٰ مصائب الأُمة علىٰ مدىٰ التاريخ، والى المصائب والانتكاسات والنكبات الجديدة، يرفعها و يرتقي بها الىٰ مستوىٰ مظلومية الإمام سيدالشهداء(ع)، باعتبار معاناة الأُمة وآلامها وأحزانها وتعطُّشها الى الحق والعدالة وكأنها في كلِّ جرح من جراحها النازفة، حسين جديد، تحاول صرعها ــ كما صرعته ــ طواغيت من ذات الصلب ومن نفس النمط، وللأسباب ذاتها. يقول الإمام للمستنهضين من العلماء: «وكما تحتفظون بذكرى عاشوراء الحزينة، ولا تفرِّطون بها، فلتكن المصائب التي حدثت للدين الإسلامي، من اليوم الأول والىٰ يومنا هذا، عاشوراء جديدة تحيون ذكراها باستمرار»[٣٥٣].

وكان أن تحوّل تاريخ الأُمة ــ لكثرة ماحلّ بها من ابتلاءات، وشدّة ما عصف بها من محن الىٰ درجة بات معها في كلّ يوم ذكرى مرارة ــ الى تاريخ متخمٍ بالمآسي، مروّع بالأحزان والمساقط والدماء، فصحّ الشعار الذي يرفعه المسلمون في إيران «كلّ يوم عاشوراء، و كلّ أرض كربلاء». وإذا الإمام الحسين، بما كان «وحدة تاريخية كاملة»[٣٥٤]، كما يقول عبدالله العلايلي، يتحول الىٰ تاريخ بأكمله، تتجرّع الأُمّة علىٰ مداره نُغَب التّهمام أنفاساً، وإذا ثورته قاعدة استنهاض خمينية لاينضب لها معين، فهي من أيام الله، قال تعالى: «**وذكّرهم بأيام الله إنّ في ذلك لآياتٍ لكُلّ صبّار شَكُور**»[٣٥٥].

ومن قواعد الاستنهاض الكبرىٰ في مشروع الإنبعاث الخميني كانت قاعدة شهر رمضان المبارك «شهر العبادة والبناء، شهر تجديد القوى المعنوية، شهر الله الأعظم الذي يتجه فيه كافة المسلمين نحو القدرة الأزلية والإعداد لمواجهة القوىٰ الطاغوتية»[٣٥٦]. فإذا الشهر المكرّم شهر الاستنهاض الفكري والاجتماعي والسياسي في جهاديات الإمام، يستمد من لياليه وأيامه نفحاتها الروحية ليوجّه المسلمين، وهم في وهج النقاء الوجداني وتساميهم الداخلي، ليحوّلها الى نظام قِيَم ثورية يشبّك قوى الأُمة في كيان الدعوة، و يوحّدها «قوة واحدة أمام طواغيت العصر والناهبين الدوليين»[٣٥٧] ــ علىٰ حدّ تعبيره ــ، ليهبُّوا للدفاع عن حِمىٰ البلاد الإسلامية «و يقطعوا أيدي الخونة وآمالهم»[٣٥٨].

من قدسية أيام شهر المكرمات هذا، استلّ الإمام يوماً من أجلّ الأيام ــ وهو من أيام القدر ــ ليكون لواحدة من أقدس قضايا المسلمين: قضية فلسطين؛ استلّ ــ بعد الثورة ــ من رمضان يوم آخر جمعة، واختاره «يوم القدس العالمي». وفي بيان إعلانه هذا الاختيار التاريخي، دعا الإمام عامّة المسلمين في جميع أرجاء العالم الىٰ «أن يتّحدوا من أجل

قطع يد هذا الغاصب (إسرائيل) ومساعديه»[٣٥٩]، كما دعا المستضعفين الىٰ النهوض أيضاً لإنقاذ القدس السليب. فيوم القدس هو يوم المشروع الحضاري الإسلامي للعالم، وَعَيْنا الإمام فيه: عينٌ على المسلمين، وعينٌ علىٰ المستضعفين في الأرض، فإذا الدنيا وحركة التطور التاريخي والاجتماعي في المشروع الإسلامي بين يديه هما حاصل جمع هاتين القضيتين: قضية الإسلام وقضية المستضعفين. وفي هذا السياق يقول الإمام: «إن يوم القدس يوم عالمي، وليس يوماً يخصُّ القدس فقط، بل هو يوم مواجهة المستضعفين للمستكبرين.. إنَّه اليوم الذي يجب أن ينهض المستضعفون فيه، وننهض لإنقاذ القدس.. فيوم القدس هو يوم الإسلام، و يوم إحياء الإسلام، فلابدَّ من إحياء الإسلام وتنفيذ قوانينه وأحكامه»[٣٦٠].

ومع عيد الفطر أيضاً يعيد الإمام الانصهار بين الشكل والمضمون، وبينهما وبين أصل العيد وحقيقته، و يسترجع له دوره الروحي الجوهري، وكونه قاعدة استنهاض وتجديد لعهد المسلمين مع الله وإعلانهم القلبي والعملي لتصميمهم الدائم علىٰ الإضطلاع بمسؤولياتهم الإلٰهية في وجه أعداء الإسلام. فقد «جعل الله تعالىٰ الأول من شوال عيداً للمسلمين ليتبيَّنوا فيه طريقهم ومسؤولياتهم تجاه الإسلام، وتجاه أعدائه الشرسين، وذلك من خلال آجتماعهم في الصلوات والخطب المناسبة لكل عصر»[٣٦١]. ولم تطُل مسافة الزمن بين تاريخ هذا القول للإمام سنة ١٣٩٦هـ [٣٦٢] و بين ذلك الطريق وتلك المسؤوليات، عندما خرج المسلمون الإيرانيون في طهران بأكبر تظاهرة عرفها تاريخ إيران، آنذاك، وذلك في يوم الفطر سنة ١٣٩٨هـ وقد بلغ عدد المشاركين فيها قرابة المليون ونصف المليون[٣٦٣]، وكان أن قال الإمام في بيان له بهذه المناسبة: «لقد كان يوم الفطر هذا العام عيد البطولة والثورة المتصاعدة

لكل قطاعات الشعب الإيراني.. كان يوماً أثبت للعالم النضج الفكري والعملي للشعب.. لقد مارس الشعب الإيراني عبادة قيّمة أخرىٰ.. من أجل إقامة الحكم الإسلامي العادل، إذ إن العمل والسعي من أجل هذا الهدف هما من أعظم العبادات، وأن التضحية في هذا السبيل هي من سيرة الأنبياء العظام، ولاسيّما النبي الأكرم(ص) وسيرة وصيّه القائد العظيم أمير المؤمنين عليه السلام»[٣٦٤].

وفاق هذا النهج حرّك الإمام الخميني قواعد الاستنهاض محقّقاً انجازاً فذّاً عندما قاد الاستنهاض الى نهضة، والقوة الىٰ الفعل، والمناسبة التاريخية الىٰ حقيقة واقعة مجسّدة، والمسجد الىٰ مفاعل ثوري وحضاري، والمكان الى جغرافية شاملة تزحف الى حدود الدنيا بأسرها متجاوزة كلّ حدود مصطَنعة، فإذا كلُّ قاعدة من تلكم القواعد تاريخ مستمرٌّ ومتجدّد في الخطّة «المناسبة لكلّ عصر»[٣٦٥] وبما يوافق منهج السير الى الهدف.

إنَّ الحقيقة المهمة التي تتضمّنها هذه العبارة الأخيرة للإمام ــ (المناسبة لكلّ عصر) ــ تشير الىٰ شأن تبليغي بالغ الأهمية، لأنها تفرض وجوب اخضاع الفعل التبليغي للظرف التاريخي السائد، ولما تقتضيه لوازم الواقع والمناسبة التاريخية لتستقيم نتائج الفعل «فنجاح أو فشل التبليغ يعتمد علىٰ نحو كلّي تقريباً علىٰ مضمون ومنهج التبليغ في علاقتها بالوضع التاريخي السائد»[٣٦٦]. ولعلَّ قسماً لايستهان به من فضائل نهضة الإمام الخميني ونجاحاتها، يعود الى حكمة الإمام وحسن تحكُّمه بحركة الظروف التاريخية والمناسبات التاريخية محوّلاً إياها الى قواعد استنهاض معتلياً متنها يقودها الى مايجعلها متحقّقة واقعة، فأنّىٰ للعالِم بزمانه أن تهجم عليه اللَّوابس؟ وفاق قول الإمام الصادق(ع).

خاتمة البحث

على مدىٰ هذه القراءة لفكر الاستنهاض الخميني وحركته الصراعية، استقام الإمام متقلّداً نموذج حضارة الحق ومتمثلاً نظامها السماوي، داعياً الى الحق والعدل والحرية علىٰ مبادئ وأُسس نظام التكوين ونظام التشريع في الإسلام، الآيلَين الىٰ التكامل مع مبدأ الوجود كلِّه، محتذياً خطىٰ الأنبياء الذين مابُعِثوا إلّا بهدف التسامي بالإنسان «من المحسوس، الىٰ المعقول، ومن المحدود الىٰ اللّامحدود»[٣٦٧]. ولم يكن ذلك الاستنهاض إلّا محاكاة لتجربتهم الإنسانية بمستوياتها جميعها. فثار الإمام بالإسلام، وله، مُستَنقِذاً الأُمة، ناهضاً بها لاسترجاع طليعيَّتها وخيريَّتها اللَّتين اختارهما الله لها إذ جعلها خير أُمَّة أُخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر.

بالفكر العقيدي استنهض الإمام وثوَّر الجوّاني في الفرد والأُمة لتثوير ما حولهما، مسترداًّ إيّاهما الىٰ أصالتهما، وفجّر حركتهما المستنهَضة ثورة أقامت دولة فيها «اكتمال» لإحدىٰ الحلقات اللَّولبية المرتقية بأهل الأرض الىٰ معارج السماء. لكن هذا الاكتمال مُستَدْعٍ في تشكُّله البنائي جهاداً كدحيّاً مستمرّاً علىٰ صعيدَي الفرد والأُمَّة باتجاه الترقّي الىٰ حلقة أُخرىٰ من خلال ممارسة فعل الاستنهاض والثورة الدائب بهدف تكريس انجازات الثورة، وفي الوقت نفسه «لتصدير» نموذج

الاستنهاض والثورة والدولة الناجزة، وصولاً الى حلقة لولبية أرقى وأشمل، وفي جهاد دينامي.. حتى يقوم حكم الله في الأرض، و يعم العالم في نهاية المطاف. وهذا يعني أن فعل الاستنهاض بالدعوة، والثورة، والدولة، فعل دائم، وجهاد مستمر على أساس جهوزية المشروع الحضاري الإسلامي بأكمله، وقد تنزَّل واجتمع في دليل قرآني وسُنَّوي وإمامي متكامل، ثوابت وشريعة ونظاماً وأحكاماً، يقوده الفقيه العادل الكفي، وحتىٰ تسليم راية القيادة الىٰ إمام الزمان(عج) ليملأ الدنيا قسطاً وعدلاً، بعدما مُلِئت ظلماً وجوراً.

وهكذا يكون كلُّ تحقُّق لحلقة لولبية بمثابة استدعاء للحلقة الأعلىٰ وإشعاع وإضاءة لها، وكأنَّما الحلقة الأدنىٰ فعل نور تقبس منه الحلقة الأعلىٰ وتهتدي به، نوراً علىٰ نور.

علىٰ هذا التأسيس الاستراتيجي الدينامي عَمَّرَ الإمام رساليته التبليغية والإحيائية بكلِّ تكليفاتها، و بكلِّ أجنحتها: بالأهداف والمثل الأعلىٰ، و بالقيم والقواعد، كما بالمستنهِضين والمستنهَضين، وصولاً الى تحقيق الحكومة الإسلامية باعتبارها هدفاً مركزياً لايخدم تحقيقه المسلمين في إيران وحدهم، ولاالمسلمين في العالم وحدهم، لكنه يخدم أيضاً المستضعفين في الأرض وقضايا الحقِّ والحرية التي يسعون إليها، بما هي قضايا الإسلام أيضاً، وقد تنزَّل لها، كما الأديان السَّماوية قبلة على أساس وحدة الإنسان مع الإنسان، ووحدة الإنسان مع نظام الكون، ووحدة الإنسان في الله(٣٦٨).

ولطالما أكَّدت قراءتنا لخطاب الإمام الاستنهاضي علىٰ هذا المنهج الحضاري الشمولي والإنساني المنبثق من الإسلام، والمتجسِّد فيه مشروعاً إلٰهياً، بعيداً عن أيَّة «محدودية» بشرية تزعم حمل أيديولوجية طرف اجتماعي واحد لتقمع وتقهر بحجَّته الأطراف الأُخرىٰ، أو تتبنَّىٰ

ليبرالية تجعل «مبدئية النفع محل مبدئيَّة القِيَم»[٣٦٩].

وإذا كان بعض الاتجاهات الأيديولوجية في حضارة الباطل يرفع شعارات ذات «مضمون» إنساني، كالحرية والإخاء والمساواة مثلاً، أو يدعو الى رفع الظلم والاستغلال الطبقي، فإنَّه ــ بحساب النوايا الملفقة أو المتوهَّمة ــ قد تهافت وتكشَّفَ عن ممارسة أبشع وسائل القمع العرقي والقومي والديني والحضاري للشعوب المظلومة. فانتهىٰ هذا الفكر الناقص المجتَزأ الىٰ ثورات شوهاء، وبالتالي الىٰ إقامة دول الطواغيت. و «الأممية» المزعومة التي يرفعها البعض شعاراً، هي في حقيقتها «لاأممية»، لأنها في أصلها شعار طرف ضدَّ بقية الأطراف من جهة، كما هي ــ من جهة أُخرى ــ «لاجماهيرية» لحملها فكراً نخبوياً نسخ عذابات البشر ومظلوميتهم واستغلَّها، فإذا البشر في خدمة الفكر، وليس الفكر في خدمتهم. ممّا يعني تأليهاً ــ ظرفياً بلاريب ــ للفكر، سرعان ماتداعىٰ وسقط. قال تعالى: «**والَّذينَ كَفَروا أعمالُهُمْ كَسَراب بقيعةٍ يحسَبُهُ الظمآنُ ماءً حتّىٰ إذا جاءَهُ لَمْ يجدْهُ شيئاً ووجدَ اللّهَ عندَهُ فوفّاهُ حسابَهُ واللّهُ سريعُ الحساب**»[٣٧٠].

مـ فرادة المشروع الحضاري الإنساني للإسلام، كانت فرادة الإمام / النموذج الحضاري الإمامي مُستنهِضاً هادياً، ومرشداً مهتدياً، وعارفاً إلٰهياً، وعابداً معبِّئاً الأُمَّة علىٰ خطِّ العبودية الواحدة للّه، ومحوِّلاً ثورياً مجدِّداً، وداعيةً إسلامياً سياسياً رسَّخ «جذور الحكومة الإسلامية في عروق ولحوم وعظام ودماء الأُمَّة الإسلامية»[٣٧١]. بحيث «لاتحيد عنها أبداً، ولن ترضىٰ بغيرها بدلاً»[٣٧٢]، بحيث أعاد إليها ثقتها بمشروعها الذي نُدِبَت إليه، لكنها تخلَّت عنه في غفلة عن ذاتها وفطرتها وتاريخها، كما أعاد إليها ثقتها بقدرتها وقابلياتها والتزامها بمسؤولياتها الإلٰهية، بما المسؤولية التزام بين إرادة تابعة وإرادة غالبة ــ ومطلقة هذه المرة ــ

فاستقامت الأُمة على يدَي إمامها، والتفَّت حوله، فصارت فيه، وصار فيها بكيانها الجماعي، وانصهر كيانه الاعتباري والشخصي فيها فكان «رجلاً في أُمة، وأُمة في رجل»، كما يحلو للكثيرين أن يقولوا عن الأفذاذ في تاريخ الأُمم.

فكَّك الإمام المشروع الحضاري المضاد من جذوره وأعاد توحيد المسلمين في إيران على أنقاضه، وزرع في كل أرض إسلامية نواة حركة حضارية نامية باتت اليوم هاجساً يقضُّ مضاجع الطواغيت، يتوحَّدون في كل مكان على مقارعتها، إذ لم يعد في العالم اليوم من يقول لهم: «لا»، سوى صوت الإسلام الذي عاد ــ منذ الإمام ــ الى جبهة الهجوم لا الدفاع، مسقطاً أصل الثوابت في معادلات العالم المعاصر، وممنهجاً للأُمة الإسلامية كلّها مشروعاً استنهاضياً متكاملاً يستحيل ــ في رأينا ــ على أيَّة حركة إسلامية في العالم أن تتقدم وتنجح دون الانخراط في نموذجه، والإهتداء به، والاعتبار بدروسه وعِبَرِه، والاستفادة من تجاربه الكثيرة.

إن تعميم هذا النموذج خدمة كبرى نسديها للإسلام وللمستضعفين في الأرض كافة، ولقضايا العدالة والحرية والاستقلال في كل مكان، بحيث يبقى أصلاً في فكر كلِّ مجاهد وفعله، ودليل رؤية وهداية يُستَمسَك به.

والسلام على من نهض واستنهض، و ينهضُ و يستنهضُ.. وَمَنْ لم يفعل بعد، عليه أن يبدأ **«ولتَكنْ مِنكمْ أُمَّةٌ يَدعونَ الىٰ الخَيرِ ويَأمُرونَ بِالمَعرُوفِ وينَهَونَ عَنِ المُنكرِ وأُولئكَ هُمُ المُفلِحونَ»**[٣٧٣].

الهوامش

(١) الأعراف/١٨١.

(٢) البقرة/٢٥٦.

(٣) راجع: سليمان، سمير ــ «الأندلس والغرب ــ صراع النموذجين الحضاريين و بدايات الإستشراق» ــ ص/١٨.

(٤) الخميني، الإمام روح اللّه ــ «مختارات من أقوال الإمام الخميني» ــ الترجمة العربية ــ الجزء/٣ ــ ص/٢٩.

(٥) أُنظر نظرية المثل العليا عند الأُمم في:

ــ الصدر، محمدباقر ــ «مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن» ــ ص.ص/١٣٣ وما بعدها.

(٦) صديقي، عبدالحليم ــ «تفسير التاريخ» ــ الترجمة العربية ــ ص/٢٣.

(7) GARAUDY, Roger - "Appel aux Vivants" - P.20.

(٨) صدّيقي، عبدالحليم ــ «تفسير التاريخ» ــ ص/٢٤.

(٩) عبد الغفور، عبدالرؤوف ــ «دراسات في علم النفس الإسلامي» ــ القسم الأول ــ ص.ص/١٤ ومابعدها.

(١٠) الشمس/٧ ــ ٨.

(١١) المطهري، مرتضىٰ ــ «نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ» ــ الترجمة العربية ــ ص/٤٦.

(١٢) القصص/٥.

(١٣) المطهري، مرتضى ــ (م.س).

(١٤) الأنبياء/١٠٥.

(١٥) الأنبياء/١٨.

(١٦) الإسراء/ ٨١.

(17) GARAUDY, Roger - (O.P.cit) P.19.

(١٨) أسد، محمد ــ «الإسلام على مفترق الطرق» ــ الترجمة العربية ــ ص/ ٣٠.

(١٩) (م.ن) ــ ص/ ٢٩.

(٢٠) صدّيقي، عبدالحليم ــ (م.س) ــ ص/ ٣٣.

(٢١) أسد، محمد ــ (م.س) ــ ص.ص/ ٤٩ وما بعدها.

(٢٢) تاريخ كتابتنا لهذه الفكرة هو أواخر تشرين الثاني من عام ١٩٨٩م.

(٢٣) صدّيقي، عبدالحليم ــ ص.ص/ ٢٣ ــ ٢٤.

(24) GARAUDY, Roger - (O.P.Cit) P. 51.

(٢٥) سليمان سمير ــ «خطاب العلم في القرآن» ــ مجلة «الثقافة الإسلامية» ــ دمشق ــ العدد/ ٥ ــ ١٩٨٦، ص/ ١٨٥.

GARAUDY, Roger - (Ebid) - P.219.

(٢٦) الجاثية/ ٢٦.

(٢٧) راجع: الطباطبائي، محمد حسين ــ «الإسلام ومتطلبات التغير الإجتماعي» ــ الترجمة العربية ــ ص/ ٣٣.

(٢٨) البقرة/ ٣٠.

(٢٩) الحجر/ ٢٨ ــ ٣١.

(٣٠) الإسراء/ ٧٠.

(٣١) الشيرازي، صدرالدين ــ «الحكمة المتعالية..» ــ الجزء الأول من السفر الثالث ــ ص/ ٢٧٧.

(٣٢) خليل، عمادالدين ــ «التفسير الإسلامي للتاريخ» ــ ص/ ٣٠٠.

(٣٣) (م.ن) ــ ص/ ٣٠١.

(٣٤) الخميني، الإمام روح الله ــ «مختارات من أقوال الإمام الخميني» ــ الجزء الثاني ــ ص/ ٨٤.

(٣٥) الصدر، محمدباقر ــ «الإسلام يقود الحياة» ــ ص/ ١٣٤.

(٣٦) (م.ن).

(٣٧) (م.ن) ــ ص/ ١٣٦.

(٣٨) راجع: سليمان، سمير ــ «خطاب العلم في القرآن» ــ ص.ص/ ١٧٧ ــ ١٧٩.

(٣٩) الخميني، الإمام روح الله ــ «الوصية السياسية الإلهية للإمام الخميني» ــ الترجمة

(٤٠) الخميني، الإمام روح الله ــ «الآداب المعنوية للصلاة» ــ الترجمة العربية ــ ص/٣٢.

(٤١) المطهري، مرتضى ــ «مقالات حول الثورة الإسلامية في إيران» ــ الترجمة العربية ــ ص/٢٢.

(٤٢) الخميني، الإمام روح الله ــ «مختارات..» الجزء/٢ ــ ص/١٢٧.

(٤٣) البقرة/٢٥٧.

(٤٤) ورد ذكر «الطاغوت» في القرآن ثماني مرات في السور التالية: البقرة/٢٥٦ ــ البقرة/٢٥٧ ــ النساء/٥١ ــ النساء/٦٠ ــ النساء/٧٦ ــ المائدة/٦٠ ــ النحل/٣٦ ــ الزمر/١٧.

(٤٥) البقرة/٢٥٧.

(٤٦) الخميني، الإمام روح الله ــ «مختارات..» ــ الجزء/٢ ــ ص/١٢٨.

(٤٧) (م.ن).

(٤٨) (م.ن).

(٤٩) (م.ن).

(٥٠) (م.ن).

(٥١) (م.ن).

(٥٢) (م.ن).

(٥٣) (م.ن) ص.ص/١٢٨ ــ ١٢٩.

(٥٤) الصدر، محمد باقر ــ «الإسلام يقود الحياة» ــ ص/٢٠٤.

(٥٥) المطهري، مرتضى ــ «المفهوم التوحيدي للعالم» ــ الترجمة العربية ــ ص/١٤.

(٥٦) (م.ن) ــ ص/٣٨.

(٥٧) (م.ن) ــ ص/٤٣.

(٥٨) شريعتي، علي ــ «العودة الى الذات» ــ الترجمة العربية ــ ص/٣٦.

(٥٩) (م.ن).

(٦٠) (م.ن).

(61) RONDOT, Pierre - "L'Islam" P.P.96 Ct 232.

(٦٢) توينبي، آرنولد ــ «تاريخ البشرية» ــ الترجمة العربية ــ الجزء/٢ ــ ص/٢٦١.

(٦٣) سكارسيا، ماريا بيانكا ــ «العالم الإسلامي وقضاياه التاريخية» ــ الترجمة العربية ــ ص.ص/١٥٥ ــ ١٥٦.

(64) PELLEGRIN, Arthur - "L'Islam dams Le Monde" P.lll.

(٦٥) راجع أيضاً: بحثنا: «الإسلام وإشكالية المنهج في الخطاب المعرفي الغربي» ــ مجلة العرفان ــ بيروت ــ العدد/٦و٧و٨ ــ المجلد الخامس والسبعون ــ ١٤٠٨هـ ــ ص/٦١.

(٦٦) الخميني، روح الله ــ «مختارات..» الجزء/٢ ــ ص/٧٥.

(٦٧) الخميني، الإمام روح الله ــ «دروس في الجهاد» ــ الترجمة العربية ــ ص/٣١٧.

(٦٨) الطباطبائي، محمد حسين ــ «الميزان في تفسير القرآن» ــ المجلد/٥ ــ ص/٢٥٥.

(٦٩) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية» ــ الترجمة العربية ــ ص/٤٥.

(٧٠) (م.ن).

(٧١) (م.ن) ــ ص/٤٦.

(٧٢) الخميني، الإمام روح الله ــ «كتاب البيع» ــ الجزء/٢ ــ ص/١٧.

(٧٣) (م.ن) ــ ص/٢١.

(٧٤) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية» ــ ص/٤٩.

(٧٥) (م.ن).

(٧٦) الانشقاق/٦.

(٧٧) الصدر، محمدباقر ــ «مقدّمات في التفسير الموضوعي للقرآن» ــ ص/١٤٨.

(٧٨) ربّما كان جديراً بالالفات هنا أنّ صلاة المسلم ذاتها هي حقيقة ثورية وموقف ثوري، كذلك هي العبادات كافة في الإسلام.

(٧٩) الخميني، الإمام روح الله ــ «مختارات..» ــ الجزء/٢ ــ ص.ص/١٢٨ ــ ١٢٩.

(٨٠) فاطر/١٠.

(٨١) الطباطبائي، محمد حسين ــ «الميزان..» المجلد/١٧ ــ ص/٢٣.

(٨٢) الخميني، الامام روح الله ــ «الجهاد الأكبر» ــ الترجمة العربية ــ ص/٦٢.

(٨٣) المطهري، مرتضى ــ «المفهوم التوحيدي للعالم» ــ ص/٧٠.

أنظر أيضا:

ــ الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية» ــ ص.ص/٦٨ ــ ٦٩.

(٨٤) أُنظر: الخميني، الإمام روح الله ــ ص/١١٩ ومابعدها.

(٨٥) الأحزاب/٣٩.

(٨٦) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية» ــ ص/١٢٥.

(٨٧) (م.ن) ــ ص.ص/١٢٧ ــ ١٣٤.

(٨٨) المطهري، مرتضى ــ «مقالات حول الثورة الإسلامية في إيران»ــ ص/ ٢٠.

(٨٩) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية»ــ ص/ ١١٩.

(٩٠) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية»ــ ص/ ١١٩.

(٩١) (م.ن).

(٩٢) (م.ن).

(٩٣) (م.ن)ــ ص/ ٥٤.

(٩٤) (م.ن)ــ ص/ ٦٨.

(٩٥) (م.ن)ــ ص.ص/ ١٢١ــ ١٢٢.

(٩٦) سبأ/ ٤٦.

(٩٧) رهبر، حجة الإسلام محمدتقي ــ «نظرة في البعد المعنوي للثورة الإسلامية في إيران»ــ ص/ ٢٠.

(٩٨) الخميني، الإمام روح الله ــ «مختارات..»الجزء/ ١ــ ص/ ١٩٧.

(٩٩) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية»ــ ص/ ١٢٧.

(١٠٠) الخميني، الامام روح الله ــ «مختارات...» الجزء/ ٢ــ ص/ ٨.

(١٠١) (م.ن)ــ الجزء/ ٤ــ ص/ ١٤١.

(١٠٢) الصدر، محمدباقر ــ «الإسلام يقود الحياة»ــ ص/ ١٩٩.

(١٠٣) (م.ن)ــ ص.ص/ ١٧٨ــ ١٧٩.

(١٠٤) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية»ــ ص/ ٤١.

(١٠٥) (م.ن)ــ ص.ص/ ٤١ــ ٤٢.

(١٠٦) (م.ن)ــ ص/ ٤٢.

(١٠٧) طه/ ١٢٣ــ ١٢٤.

(١٠٨) الطباطبائي، محمدحسين ــ «الإسلام ومتطلبات التغيير الإجتماعي»ــ ص/ ١٠.

(١٠٩) (م.ن).

(١١٠) (م.ن)ــ ص.ص/ ١٩و١٣.

(١١١) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية»ــ ص/ ٣٥.

(١١٢) الخميني، الإمام روح الله ــ «مختارات..» الجزء/ ٣ــ ص.ص/ ٦٥ــ ٦٦.

(١١٣) (م.ن)ــ الجزء/ ٤ــ ص/ ١١٤.

أنظر أيضاً:ــ (م.ن)ــ الجزء/ ١ــ ص.ص/ ١٨٢ــ ١٨٣ و ١٨٥ و١٨٦ و ١٨٧ و

١٩٣ــ والجزء/ ٢ــ ص.ص/ ٨ و ٢٦ و ٤٠ و ١٥٦.

ــ والجزء/ ٤ــ ص/ ١٤١.

(١١٤) الطباطبائي، محمد حسين ــ «الإسلام ومتطلبات التغير الإجتماعي» ــ ص/ ٤١.

(١١٥) (م.ن).

(١١٦) الخميني، الإمام روح الله ــ «مختارات...» ــ الجزء/ ٢ــ ص/ ٣٠.

(١١٧) الحسيني، مهدي ــ «القيادة في الحكومة الإسلامية» ــ ص.ص/ ١١ و ١٦.

(١١٨) يوسف/ ٤٠.

(١١٩) الخميني، الإمام روح الله ــ «كتاب البيع» ــ الجزء/ ٢ــ ص/ ١٦.

(١٢٠) المطهري، مرتضى ــ «مقالات حول الثورة الإسلامية في ايران» ــ ص/ ٤١.

(١٢١) (م.ن).

(١٢٢) الخميني، الإمام روح الله ــ «مختارات...» ــ الجزء/ ٢ــ ص/ ١٠٢.

(١٢٣) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية» ــ ص/ ١٢٩.

(١٢٤) (م.ن) ــ ص/ ١٣٠.

(١٢٥) (م.ن) ــ ص/ ١٣٥.

(١٢٦) الخميني، الإمام روح الله ــ «مختارات...» ــ الجزء/ ١ــ ص/ ١٥٢.

(١٢٧) (م.ن) الجزء/ ٢ــ ص.ص/ ١٨٣ــ ١٨٤.

(١٢٨) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية» ــ ص/ ١٢٧.

(١٢٩) (م.ن) ــ ص/ ١٢٣.

(١٣٠) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية» ــ ص/ ١٣٤.

(١٣١) (م.ن).

(١٣٢) أنظر: (م.ن) ــ ص/ ١١٢.

(١٣٣) (م.ن).

(١٣٤) راجع:

ــ ابن أبي طالب، الإمام علي «نهج البلاغة» ــ الخطبة/ ١ــ ص.ص/ ١٣٢ــ ١٣٣.

ــ سليمان، سمير ــ «خطاب العلم والتوحيد ــ قراءة في خطاب العلم الإلهي من خلال نهج البلاغة» ــ مجلة «المنطلق» ــ بيروت ــ العدد/ ٣٥ــ ص.ص/ ٤٦ ومابعدها.

(١٣٥) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية» ــ ص/ ١٤٥.

(١٣٦) سليمان، سمير ــ (م.ن) ص/ ٤٧.

(١٣٧) محمد/٧.

(١٣٨) الكهف/١٣.

(١٣٩) الكهف/١٤.

(١٤٠) المطهري، مرتضى ــ «مقالات حول الثورة الإسلامية في إيران» ــ ص/٢٢.

(١٤١) (م.ن) ــ ص.ص/٢٢ ــ ٢٣.

(١٤٢) الخميني، الإمام روح الله ــ «مختارات..» ــ الجزء/٢ ــ ص/١٩.

(١٤٣) (م.ن) ــ ص/٩١.

(١٤٤) الطباطبائي، محمدحسين ــ «الميزان..» ــ المجلد/٩ ــ ص/٣٨.

(١٤٥) الأنفال/١٧.

(١٤٦) ابن أبي طالب، الإمام علي ــ «نهج البلاغة» ــ ص.ص/٨٠٩ ــ ٨١٠.

(١٤٧) شريعتي، علي ــ «الأُمة والإمامة» ــ الترجمة العربية ــ ص/٦٢ و ص/١٧١.

(١٤٨) قد يكون من نافل القول التذكير في هذا السياق أن المثل الأعلى مستخدم هنا بالمعنى الإسلامي الذي سبق وأشرنا إليه مراراً، لا المعنى الذي تقول به حضارة الباطل تحت عنوان «السعادة» بما هي قيمة تعميمية أُفقية ومثال أعلى مفرغ من أي مضمون حقيقي. فهل أهل هذه الحضارة سعداء حقاً؟ وما مضمون هذه السعادة ــ اذا وجِدت ــ؟

(١٤٩) الصدر، محمدباقر ــ «مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن» ــ ص/٤٥.

(١٥٠) المطهري، مرتضى ــ «الهدف السامي للحياة الإنسانية» ــ الترجمة العربية ــ ص/٤٦.

(١٥١) الخميني، الإمام روح الله ــ «كتاب البيع» ــ ص/١٦ و ص/٣٠.

(١٥٢) (م.ن) ــ ص/٤٦٤.

(١٥٣) الخميني، الإمام روح الله ــ «مختارات..» ــ الجزء/٤ ــ ص/١١٤.

(١٥٤) (م.ن) ــ الجزء/٣ ــ ص/٢١.

انظر أيضاً :ــ (م.ن) ــ الجزء/١ ــ ص .ص/١٣٥ ــ ١٣٦.

(١٥٥) رهبر، حجة الإسلام ــ «نظرة في البعد المعنوي للثورة الإسلامية في إيران» ــ ص/٥٩.

(١٥٦) الخميني، الإمام روح الله ــ «مختارات..» ــ الجزء/٢ ــ ص/٨.

(١٥٧) المطهري، مرتضى ــ «مقالات حول الثورة..» ــ ص/٥٥.

(١٥٨) المطهري، مرتضى ــ «مفاهيم إسلامية» ــ الترجمة العربية ــ الرقم/٣ ــ ص.ص/٤٨ ــ ٤٩.

(١٥٩) (م.ن)ـ ص.ص/٤٩ـ٥٠.

(١٦٠) المطهري، مرتضى ـ «الهدف السامي للحياة الإنسانية»ـ ص/٤٧.

(١٦١) (م.ن)ـ ص/١٤.

(١٦٢) الخميني، الإمام روح اللهـ «مختارات..» الجزء/٢ـ ص/١٩.

(١٦٣) (م.ن)ـ ص/٢٠.

(١٦٤) الخميني، الإمام روح اللهـ «الحكومة الإسلامية»ـ ص/١٤٩.

(*) (م.ن).

(١٦٥) (م.ن)ـ ص/١٢٧.

(١٦٦) (م.ن)ـ ص/١٤٥.

(١٦٧) (م.ن)ـ ص/١٢٠.

(١٦٨) (م.ن)ـ ص/٧٣ و ص/١٣٣.

(١٦٩) (م.ن)ـ ص/١٢٣.

(١٧٠) الخميني، الإمام روح اللهـ «مختارات...» الجزء/٤ـ ص/٩٨.

(١٧١) (م.ن)ـ ص.ص/٩٨ـ٩٩.

(١٧٢) (م.ن).

(١٧٣) (م.ن)ـ الجزء/١ـ ص.ص/١٤٠ـ١٤١، و ص ٢٠٩.

ـ راجع أيضاً: الخميني، الإمام روح اللهـ «الحكومة الإسلامية»ـ ص/١٢٥.

(١٧٤) الخميني، الإمام روح اللهـ «مختارات...» الجزء/٢ـ ص/١٢١.

(١٧٥) (م.ن)ـ الجزء/١ـ ص/٣٣.

(١٧٦) (م.ن)ـ الجزء/٢ـ ص/١٢٧.

(١٧٧) (م.ن)ـ الجزء/٣ـ ص/٣٠.

(١٧٨) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسينـ «الميزان..»ـ المجلد/٦ـ ص.ص/٢٥٨ ومابعدها.

(١٧٩) الزمرـ الآيتان/١٧ـ١٨.

(١٨٠) الخميني، الإمام روح اللهـ «الحكومة الإسلامية»ـ ص/١٢٠.

(١٨١) (م.ن)ـ ص.ص/١١٩ـ١٢٠.

(١٨٢) راجع: الخميني، الإمام روح اللهـ «مختارات...» الجزء/٤ـ ص/٣٤.

(١٨٣) (م.ن)ـ الجزء/١ـ ص/١٥٢.

(١٨٤) الخميني، الإمام روح اللهـ «الحكومة الإسلامية»ـ ص/١٢٢.

(١٨٥) (م.ن)ـ ص/١٢٧.

(١٨٦) (م.ن)ـ ص/١٢٣.

(١٨٧) (م.ن)ـ ص/١٣٤.

(١٨٨) (م.ن)ـ ص/١٢٧.

(١٨٩) (م.ن)ـ ص/١٢٢.

(١٩٠) في هذا السياق نشير الى أن الإمام الخميني قد كسر قانوناً سوسيولوجياً سائداً في العالم منذ زمن طويل قوامه أن المثقفين هم موجّهو شعوبهم، عندما قلب المعادلة قائلاً: «إنّنا في عصر ينبغي أن تضيء الشعوب الطريق فيه لمثقّفيها، وأن تنقذهم من الإنهيار والضعف أمام الشرق والغرب. فاليوم يوم حركة الشعوب وهي التي ينبغي أن توجّه من كان يوجّهها من قبل..». أفليست الثورة الإسلامية في إيران والانتفاضات التي تهب اليوم على أوروبا الشرقية، خير مصداق على صحة ما رآه الإمام؟ـ أُنظر: الخميني، الإمام روح اللهـ «مختارات...» الجزء/٢ـ ص/١٢٣.

(١٩١) الخميني، الإمام روح اللهـ «الحكومة الإسلامية» ص/١٢٣.

(١٩٢) (م.ن).

(١٩٣) (م.ن).

(١٩٤) (م.ن)ـ ص/١٢٩.

(١٩٥) (م.ن).

(١٩٦) (م.ن).

(١٩٧) (م.ن)ـ ص/١٢٢.

(١٩٨) (م.ن)ـ ص/٢٠.

(١٩٩) (م.ن)ـ ص/١٢٨.

(٢٠٠) (م.ن)ـ ص.ص/١٢٨ـ١٢٩.

(٢٠١) الخميني، الإمام روح اللهـ «مختارات...» الجزء/١ـ ص/١٥٢.

(٢٠٢) الخميني، الإمام روح اللهـ «الحكومة الإسلامية»ـ ص/١٣٥.

(٢٠٣) الكلام بين (...) لنا، وهو من سياق الشاهد. مع الإشارة الى أن المجزرة المذكورة قد حدثت سنة/١٣٨٢هـ.

(٢٠٤) الخميني، الإمام روح اللهـ «دروس في الجهاد»ـ ص/٦٤.

(٢٠٥) (م.ن)ـ ص.ص/١٦٠ـ١٦١.

(٢٠٦) بموجب هذا القانون أصبح الخبراء العسكريون والمدنيون الأميركيون أحراراً في

إيران، لا تطالهم يد القضاء والقوانين. ــ أُنظر (م.ن) ــ ص.ص/١١٥ــ١١٦.

(٢٠٧) (م.ن) ــ ص/١١٥.

(٢٠٨) (م.ن) ــ ص/١١٨.

(٢٠٩) (م.ن) ــ ص/٢٢٤.

(٢١٠) المطهري، مرتضى ــ «مقالات حول الثورة الإسلامية» ــ ص/٤٥.

(٢١١) أُنظر: الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية» ص/٩٤ ومابعدها، وص/١٠٢.

(٢١٢) (م.ن) ــ ص/١٠٧.

(٢١٣) (م.ن) ــ ص/١٤١.

(٢١٤) (م.ن) ــ ص/١٣٢.

(٢١٥) (م.ن) ــ ص.ص/١٣٨ــ١٣٩.

(٢١٦) (م.ن) ــ ص/١٣٩.

(٢١٧) الكلام بين (...) من سياق متن الشاهد.

(٢١٨) (م.ن) ــ ص.ص/١٣٩ــ١٤٠.

(٢١٩) (م.ن) ــ ص/١٤١.

(٢٢٠) (م.ن) ــ ص.ص/١٤١ــ١٤٢.

(٢٢١) (م.ن) ــ ص/١٠٨.

(٢٢٢) (م.ن).

(٢٢٣) (م.ن) ــ ص/١١١.

(٢٢٤) (م.ن) ــ ص/١١٠.

(٢٢٥) (م.ن) ــ ص.ص/١٠٨ــ١٠٩.

(٢٢٦) (م.ن) ــ ص/١٤٢.

(٢٢٧) الخميني، الإمام روح الله ــ «دروس في الجهاد» ــ ص/٤١.

(٢٢٨) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية» ــ ص/١٢٨.

(٢٢٩) (م.ن) ــ ص/١٢٠.

(٢٣٠) (م.ن) ــ ص/١٢٨.

(٢٣١) (م.ن) ــ ص/١٢٢.

(٢٣٢) (م.ن) ــ ص/١٣٥.

(٢٣٣) (م.ن) ــ ص/١٤٤.

(٢٣٤) (م.ن)ـ ص/١٤٥.

(٢٣٥) (م.ن).

(٢٣٦) (م.ن)ـ ص.ص/١٤٤ـ١٤٥.

(٢٣٧) أُنظر: الطباطبائي، محمدحسينـ «الميزان..»ـ المجلد/٥ـ ص.ص/٥٠ـ٥٢.

(٢٣٨) النساءـ الآيتان/٩٨ـ٩٩.

(٢٣٩) القصص/٥.

(٢٤٠) الخميني، الإمام روح اللهـ «مختارات...» الجزء/١ـ ص/١٨٧.

(٢٤١) الأعراف/١٣٧.

(٢٤٢) الخميني، الإمام روح اللهـ «مختارات...» الجزء/٤ـ ص/١١٤.

(٢٤٣) الخميني، الإمام روح اللهـ «الحكومة الإسلامية»ـ ص/٣٦.

(٢٤٤) هود/١١٣.

(٢٤٥) أُنظر أيضاً تفسير هذه الآية في:

ـ الطباطبائي، محمدحسينـ «الميزان..»ـ المجلد/١١ـ ص.ص/٥٠ ومابعدها.

(٢٤٦) الخميني، الإمام روح اللهـ «مختارات...» الجزء/١ـ ص/٢١٩.

(٢٤٧) الكلام بين (....) لنا، وهو من سياق الشاهد.

(٢٤٨) الخميني، الإمام روح اللهـ «الحكومة الإسلامية»ـ ص/١٣٤.

(٢٤٩) راجع: المطهري، مرتضىـ «الهدف السامي للحياة الإنسانية»ـ ص/١٥.

وـ الطباطبائي، محمدحسينـ «الإسلام ومتطلبات التغيير الإجتماعي»ـ ص/٤١.

(٢٥٠) الخميني، الإمام روح اللهـ «مختارات...» الجزء/١ـ ص/١٨٥.

(٢٥١) أُنظر: المهري، محمدجوادـ «جوانب من أفكار الإمام الخميني»ـ ص/١١١.

(٢٥٢) الصدر، محمدباقرـ «الإسلام يقود الحياة»ـ ص/٢٦.

(٢٥٣) (م.ن)ـ ص/١٤٢.

(٢٥٤) (م.ن)ـ ص/١٨٠.

(٢٥٥) (م.ن)ـ ص/١٩٤.

(٢٥٦) (م.ن).

(٢٥٧) الصدر، محمدباقرـ «الإسلام يقود الحياة»ـ ص.ص/١٧٨ـ١٧٩.

(٢٥٨) (م.ن).

(٢٥٩) العنكبوت/٦٩.

(٢٦٠) راجع: الصدر، محمدباقر ــ «الإسلام يقود الحياة» ــ ص/١٩٣.

(٢٦١) الأنفال/٢٤.

(٢٦٢) الطباطبائي، محمدحسين ــ «الميزان..» ــ المجلد/٩ ــ ص/٤٢.

(٢٦٣) (م.ن) ــ ص/٤٤.

(٢٦٤) (م.ن).

(٢٦٥) (م.ن) ــ ص.ص/٤٥ ــ ٤٦.

(٢٦٦) آل عمران/١١٠.

(٢٦٧) الشورى/١٥.

(٢٦٨) البقرة/١٤٣.

(٢٦٩) أُنظر: ــ الطباطبائي، محمدحسين ــ «الميزان..» ــ المجلد/١ ــ ص.ص/٣١٩ ــ ٣٢٠، وص/٣٢٣.

(٢٧٠) أُنظر: شريعتي، علي ــ «الأُمة والإمامة» ــ ص/٣٥.

(٢٧١) الصدر، محمدباقر ــ «الاسلام يقود الحياة» ــ ص/٢٧.

(٢٧٢) (م.ن) ــ ص/١٦٠.

(٢٧٣) (م.ن).

(٢٧٤) الصدر، محمدباقر ــ «مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن» ــ ص/٧٧.

(٢٧٥) (م.ن) ــ ص/٧٨.

(٢٧٦) الجاثية ــ الآيتان/٢٨ ــ ٢٩.

(٢٧٧) الإسراء ــ الآيتان/١٣ ــ ١٤.

(٢٧٨) أُنظر: الصدر، محمدباقر ــ «مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن» ــ ص.ص/٨٠ ــ ٨٣.

(٢٧٩) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية» ــ ص.ص/١٢٠ ــ ١٢١.

(٢٨٠) المطهري، مرتضى ــ «الإسلام وإيران» ــ الترجمة العربية ــ الجزء الثالث ــ ص/٣٤٤.

(٢٨١) الخميني، الإمام روح الله ــ «دروس في الجهاد» ــ ص/٢٣٥.

(٢٨٢) الخميني، الإمام روح الله في:

ــ المهري، محمدجواد ــ «جوانب من أفكار الإمام الخميني» ــ ص/٩١.

(٢٨٣) جعفري، محمدتقي ــ «الإنسان كماتطرحه مسألة التبليغ الإسلامي» ــ الترجمة العربية ــ ص/٦.

(٢٨٤) راجع: (م.ن)ـ ص/٧.
(٢٨٥) الخميني، الإمام روح اللّه ـ «الحكومة الإسلامية» ـ ص/١٢٨.
ـ أُنظر أيضاً: ـ (م.ن)ـ ص.ص/١٠٧ـ١٠٨.
(٢٨٦) (م.ن)ـ ص/١٣٢.
(٢٨٧) (م.ن)ـ ص.ص/١٣٢ و ١٣٥ و ١٢٣.
(٢٨٨) الخميني، الإمام روح اللّه ـ «دروس في الجهاد» ـ ص/٢٤٣.
(٢٨٩) (م.ن)ـ ص/٣٦٥.
(٢٩٠) (م.ن)ـ ص/٣٢١.
(٢٩١) (م.ن).
(٢٩٢) (م.ن)ـ ص/٣٢٨.
(٢٩٣) (م.ن)ـ ص/٣٤٦.
(٢٩٤) (م.ن)ـ ص/١٧٦.
(٢٩٥) (م.ن)ـ ص/١٥٧.
(٢٩٦) راجع: الطباطبائي، السيد محمدحسين ـ «الميزان..» ـ المجلد/٣ـ ص/٣٧٢.
(٢٩٧) الخميني، الإمام روح اللّه ـ «دروس في الجهاد» ـ ص.ص/٢٦٩ـ٢٧٠.
(٢٩٨) (م.ن).
(٢٩٩) (م.ن)ـ ص/٢٧٠.
(٣٠٠) (م.ن).
(٣٠١) (م.ن).
(٣٠٢) الصَّف/٧.
(٣٠٣) غافر/١٠.
(٣٠٤) الخميني، الإمام روح اللّه ـ «دروس في الجهاد» ـ ص/٢٧٠.
(٣٠٥) (م.ن)ـص/٢٧١.
(٣٠٦) (م.ن)ـ ص.ص/٢٧٠ـ٢٧١.
(٣٠٧) (م.ن)ـ ص/٢٧٣.
(٣٠٨) الخميني، الإمام روح اللّه ـ «الحكومة الإسلامية» ـ ص/١٢٧.
(٣٠٩) (م.ن)ـ ص/٩.
(٣١٠) (م.ن)ـ ص/١٠٨.
(٣١١) (م.ن)ـ ص/١١٠.

(٣١٢) الحج/٦٢.

(٣١٣) الخميني، الإمام روح الله ــ «دروس في الجهاد» ــ ص/٢٧٣.

(٣١٤) (م.ن).

(٣١٥) فصلت/٣٠.

(٣١٦) الخميني، الإمام روح الله ــ «دروس في الجهاد» ــ ص.ص/٣٦ــ٣٧.

(٣١٧) الجن/١٨.

(٣١٨) الأعراف/٢٩.

وراجع: الطباطبائي، محمدحسين ــ «الميزان..» ــ المجلد/٢٠ ــ ص.ص/٤٩ــ٥٠، والمجلد/٨ــ ص.ص/٧٩ــ٨٠، والمجلد/١٥ــ ص/١٢٦.

(٣١٩) النور/٣٧.

(٣٢٠) النور ــ الآيتان/٣٦ــ٣٧.

(٣٢١) أُنظر:

ــ الخميني، الإمام روح الله ــ «مختارات...» الجزء/١ــ ص/٩٩.

ــ مؤنس، حسين ــ «المساجد» ــ ص.ص/٤٢ــ٤٣.

(٣٢٢) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية» ــ ص/١٢٥.

(٣٢٣) (م.ن).

(٣٢٤) (م.ن).

(٣٢٥) (م.ن).

(٣٢٦) (م.ن).

(٣٢٧) رهبر، حجة الإسلام ــ «نظرة في البعد المعنوي للثورة الإسلامية في إيران» ــ ص/٥٦.

(٣٢٨) أُنظر: حسين، محمدعلي ــ «الإسلام يقاوم» ــ ص/٢٧.

(٣٢٩) الخميني، الإمام روح الله ــ «مختارات...» الجزء/١ــ ص/١١٢.

(٣٣٠) (م.ن) ــ ص/١٢٤.

(٣٣١) (م.ن).

(٣٣٢) الخميني، الإمام روح الله ــ «توجيهات الإمام الخميني الى المسلمين» ــ الترجمة العربية ــ ص/٣١. وزارة الإرشاد الاسلامي ــ طهران ــ ١٤٠٣هـ.

(٣٣٣) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية» ــ ص/١٢٦.

(٣٣٤) (م.ن) ــ ص.ص/١٢٥ــ١٢٦.

(٣٣٥) الخميني، الإمام روح الله ــ «توجيهات الإمام...» ــ ص/١٠٤.

(٣٣٦) (م.ن).

(٣٣٧) (م.ن).

(٣٣٨) (م.ن) ــ ص.ص/١٠٣ ــ ١٠٤.

(٣٣٩) الخميني، الإمام روح الله ــ «دروس في الجهاد» ــ ص/١٣٤.

(٣٤٠) (م.ن) ــ ص/١٣٥.

(٣٤١) الخميني، الإمام روح الله ــ «توجيهات الإمام..» ص/١٠٩.

(٣٤٢) (م.ن) ــ ص/١١٠.

(٣٤٣) الأنفال/٤٦.

ــ أُنظر أيضاً: الخميني، الإمام روح الله ــ «توجيهات الإمام...» ــ ص/١١٠.

(٣٤٤) (م.ن).

(٣٤٥) (م.ن) ــ ص/١٠٩.

(٣٤٦) الخميني، الإمام روح الله ــ «دروس في الجهاد» ــ ص.ص/٢٥٢ ــ ٢٥٣.

(٣٤٧) (م.ن) ــ ص/٢٥٣.

(٣٤٨) المطهري، مرتضى ــ «مسائل النظام والثورة» ــ نقلاً عن: ــ حسين، محمدعلي ــ «الإسلام يقاوم» ــ ص/٢٢.

(٣٤٩) (م.ن).

(٣٥٠) (م.ن).

(٣٥١) (م.ن).

(٣٥٢) (م.ن).

(٣٥٣) الخميني، الإمام روح الله ــ «الحكومة الإسلامية» ــ ص/١٢٧.

(٣٥٤) العلايلي، عبدالله ــ «الإمام الحسين» ــ ص/١٦٧ ــ دار مكتبة التربية، بيروت، ١٩٨٦م.

(٣٥٥) إبراهيم/٥.

(٣٥٦) الخميني، الإمام روح الله ــ «توجيهات الإمام..» ــ ص/٨٧.

(٣٥٧) (م.ن).

(٣٥٨) (م.ن).

(٣٥٩) (م.ن).

(٣٦٠) (م.ن) ــ ص.ص/٩٧ ــ ٩٨.

(٣٦١) الخميني، الإمام روح الله ــ «دروس في الجهاد» ــ ص/٢٠٢.

(٣٦٢) أُنظر: (م.ن) ــ ص/٢٠٤.

(٣٦٣) أُنظر: (م.ن) ــ ص/٣٧٦.

(٣٦٤) (م.ن) ــ ص.ص/٣٧٧ــ٣٧٨.

(٣٦٥) (م.ن) ــ ص/٢٠٤.

(٣٦٦) صدّيقي، كليم ــ «إطار مفهومي للتبليغ الذي تقوم به الدولة الإسلامية في إيران» ــ ص.ص/١٥ــ١٦، المؤتمر السابع للفكر الإسلامي ــ طهران ــ ١٩٨٩م.

(٣٦٧) المطهري، مرتضى ــ «المفهوم التوحيدي للعالم» ــ ص/٧٦.

(٣٦٨) شريعتي، علي ــ «العودة الى الذات» ــ ص/٣٦٧.

(٣٦٩) (م.ن) ــ ص/٣٦٤.

(٣٧٠) النور/٣٩.

(٣٧١) الخميني، الإمام روح الله ــ «جوانب من أفكار الإمام..» ــ ص/٤٨.

(٣٧٢) (م.ن).

(٣٧٣) آل عمران/١٠٤.

ثبت المراجع العربية والمعرَّبة

١ــ ابن أبي طالب، الإمام علي ــ «نهج البلاغة» ــ تصنيف صبحي الصالح ــ دار الكتاب اللبناني ــ بيروت، ١٩٦٧.

٢ــ ابن أبي طالب، الإمام علي ــ «نهج البلاغة» ــ تصنيف علي أنصاريان ــ إنتشارات مفيد ــ طهران، ١٩٧٨.

٣ــ أسد، محمد ــ «الإسلام على مفترق الطرق» ــ الترجمة العربية ــ دار العلم للملايين ــ بيروت، ١٩٨٤.

٤ــ توينبي، آرنولد ــ «تاريخ البشرية» ــ الترجمة العربية ــ الأهلية للنشر والتوزيع ــ بيروت، ١٩٨٦.

٥ــ جعفري، محمدتقي ــ «الإنسان كما تطرحه مسألة التبليغ الإسلامي» ــ الترجمة العربية ــ المؤتمر السابع للفكر الإسلامي، طهران، ١٩٨٩.

٦ــ حسين، محمدعلي ــ «الإسلام يقاوم» ــ وزارة الإرشاد الإسلامي ــ طهران، ١٤٠٢هـ.

٧ــ الحسيني، مهدي ــ «القيادة في الحكومة الإسلامية» ــ دار المشرق العربي الكبير ــ لبنان، البحرين، الكويت، الإمارات العربية، ١٩٧٨.

٨ــ خليل، عمادالدين ــ «التفسير الإسلامي للتاريخ» ــ دارالعلم

للملايين ـ بيروت، ١٩٧٥م.

٩ ـ الخميني، الإمام روح الله ـ «كتاب البيع» ـ الجزء الثاني ـ مؤسسة الفلاح ـ بيروت، ١٩٨٥.

١٠ ـ الخميني، الإمام روح الله ـ «الجهاد الأكبر» ـ الترجمة العربية ـ الدار الإسلامية بيروت، ١٣٩٩هـ.

١١ ـ الخميني، الإمام روح الله ـ «مختارات من أقوال الإمام الخميني» ـ الترجمة العربية ـ وزارة الإرشاد الاسلامي ـ طهران، ١٤٠٢هـ.

١٢ ـ الخميني، الإمام روح الله ـ «الآداب المعنوية للصلاة» ـ الترجمة العربية ـ طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـ دمشق، ١٩٨٤.

١٣ ـ الخميني، الإمام روح الله ـ «دروس في الجهاد» ـ الترجمة العربية ـ منشورات فلسطين المحتلة ـ إيران، ١٣٩٨هـ.

١٤ ـ الخميني، الإمام روح الله ـ «الحكومة الإسلامية» ـ (د.ذ.م.ت.ط).

١٥ ـ الخميني، الإمام روح الله ـ «جوانب من أفكار الإمام الخميني» ـ الترجمة العربية ـ طهران، (د.ذ.ث.ط).

١٦ ـ الخميني، الإمام روح الله ـ «توجيهات الإمام الخميني الى المسلمين» ـ الترجمة العربية ـ وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران، ١٤٠٣هـ.

١٧ ـ الخميني، الإمام روح الله ـ «صحيفة الثورة الإسلامية ـ نص الوصية السياسية للإمام الخميني» ـ الترجمة العربية ـ وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران ـ (د.ت).

١٨ ـ رهبر، حجة الإسلام ـ «نظرة في البعد المعنوي للثورة الإسلامية في إيران» ـ وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران، ١٤٠٣هـ.

١٩ــ سليمان، سمير ــ «الإسلام وإشكالية المنهج في الخطاب المعرفي الغربي» ــ مجلة العرفان ــ بيروت ــ العدد/٦ــ٧ــ٨، ١٤٠٨هـ.

٢٠ــ سليمان، سمير ــ «خطاب العلم والتوحيد ــ قراءة في خطاب العلم الإلٰهي من خلال نهج البلاغة» ــ مجلة المنطلق ــ بيروت ــ العدد/٣٥.

٢١ــ سليمان، سمير ــ «الأندلس والغرب ــ صراع النموذجين الحضاريين وبدايات الإستشراق» ــ مجلة العرفان ــ بيروت ــ العدد/٥ــ٦ــ أيار/حزيران، ١٩٨٦.

٢٢ــ سليمان، سمير ــ «خطاب العلم في القرآن» ــ مجلة «الثقافة الإسلامية» ــ دمشق ــ العدد/٥، ١٩٨٦.

٢٣ــ شريعتي، علي ــ «العودة الى الذات» ــ الترجمة العربية ــ دار الزهراء ــ القاهرة.

٢٤ــ شريعتي، علي ــ «الأُمة والإمامة» ــ الترجمة العربية ــ مؤسسة الكتاب الثقافية، (د.ذ.م.ط) ــ ١٣٦٧هـ.

٢٥ــ الشيرازي، صدرالدين ــ «الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة» ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، ١٩٨١.

٢٦ــ الصدر، محمدباقر ــ «الإسلام يقود الحياة» ــ وزارة الإرشاد الإسلامي ــ طهران ــ ١٤٠٣هـ.

٢٧ــ الصدر، محمدباقر ــ «مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن» ــ دارالتوجيه الإسلامي، بيروت ــ كويت، ١٩٨٠.

٢٨ــ صدّيقي، عبدالحليم ــ «تفسير التاريخ» ــ الترجمة العربية ــ دارالقلم ــ الكويت، ١٩٨٠.

٢٩ــ صدّيقي، كليم ــ «إطار مفهومي للتبليغ الذي تقوم به الدولة

الإسلامية في إيران» ـ المؤتمر السابع للفكر الإسلامي ـ طهران، ١٩٨٩.

٣٠ ـ الطباطبائي، محمد حسين ـ «الإسلام ومتطلبات التغيير الإجتماعي» ـ الترجمة العربية ـ المكتبة الإسلامية الكبرى ـ طهران، ١٤٠١هـ.

٣١ ـ الطباطبائي، محمد حسين ـ «الميزان في تفسير القرآن» ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ١٩٧٢.

٣٢ ـ عبدالغفور، عبدالرؤوف ـ «دراسات في علم النفس الإسلامي» ـ القسم الأول ـ مركز الإعلام الاسلامي ـ إيران، ١٤٠٤هـ.

٣٣ ـ العلايلي، عبدالله ـ «الإمام الحسين» ـ دار مكتبة التربية ـ بيروت، ١٩٨٦.

٣٤ ـ المطهري، مرتضى ـ «نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ» ـ الترجمة العربية ـ دارالتيار الجديد ـ بيروت ـ (د.ت).

٣٥ ـ المطهري، مرتضىٰ ـ «مقالات حول الثورة الإسلامية في إيران» ـ الترجمة العربية ـ وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران، ١٤٠٢هـ.

٣٦ ـ المطهري، مرتضىٰ ـ «المفهوم التوحيدي للعالم» ـ الترجمة العربية ـ دارالتيار الجديد ـ بيروت، ١٩٨٥.

٣٧ ـ المطهري، مرتضى ـ «الهدف السامي للحياة الإنسانية» ـ الترجمة العربية ـ منظمة الإعلام الإسلامي ـ طهران، ١٤٠٣هـ.

٣٨ ـ المطهري، مرتضى ـ «مفاهيم إسلامية» ـ الرقم/٣ ـ الترجمة العربية ـ دارالكتاب الإسلامي ـ بيروت، ١٩٨٣.

٣٩ ـ المطهري، مرتضى ـ «الإسلام وإيران» ـ الترجمة العربية ـ

دارالتعارف ــ بيروت، (د.ت).

٤٠ ــ مؤنس، حسين ــ «المساجد» ــ سلسلة «عالم المعرفة» ــ رقم/٣٣ ــ الكويت، ١٩٨١.

مراجع باللّغات الأجنبية

41. GARAUDY, Roger - "Appel aux Vivants" - Seuil - Paris, 1979.
42. PELLEGRIN, Arthur - "L'Islam dans le Monde" - Payot, Paris, 1950.
43. RONDOT, Pierre - "L'Islam" - Prismes, Paris, 1965.

0028

10

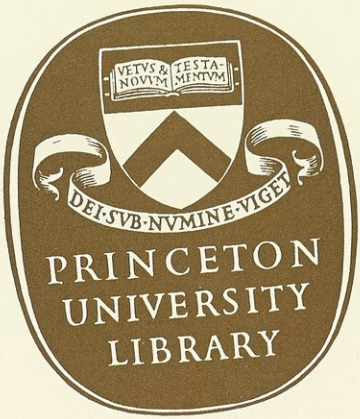

VETUS & TESTAMENTUM NOVUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

WERT BOOKBINDING
Grantville, Pa.
MAY - JUNE 1995
We're Quality Bound

DS318
.84
.K48
S942
1990

NEC

الثمن: ٤٠٠ ريالا

منظمة الاعلام الاسلامي